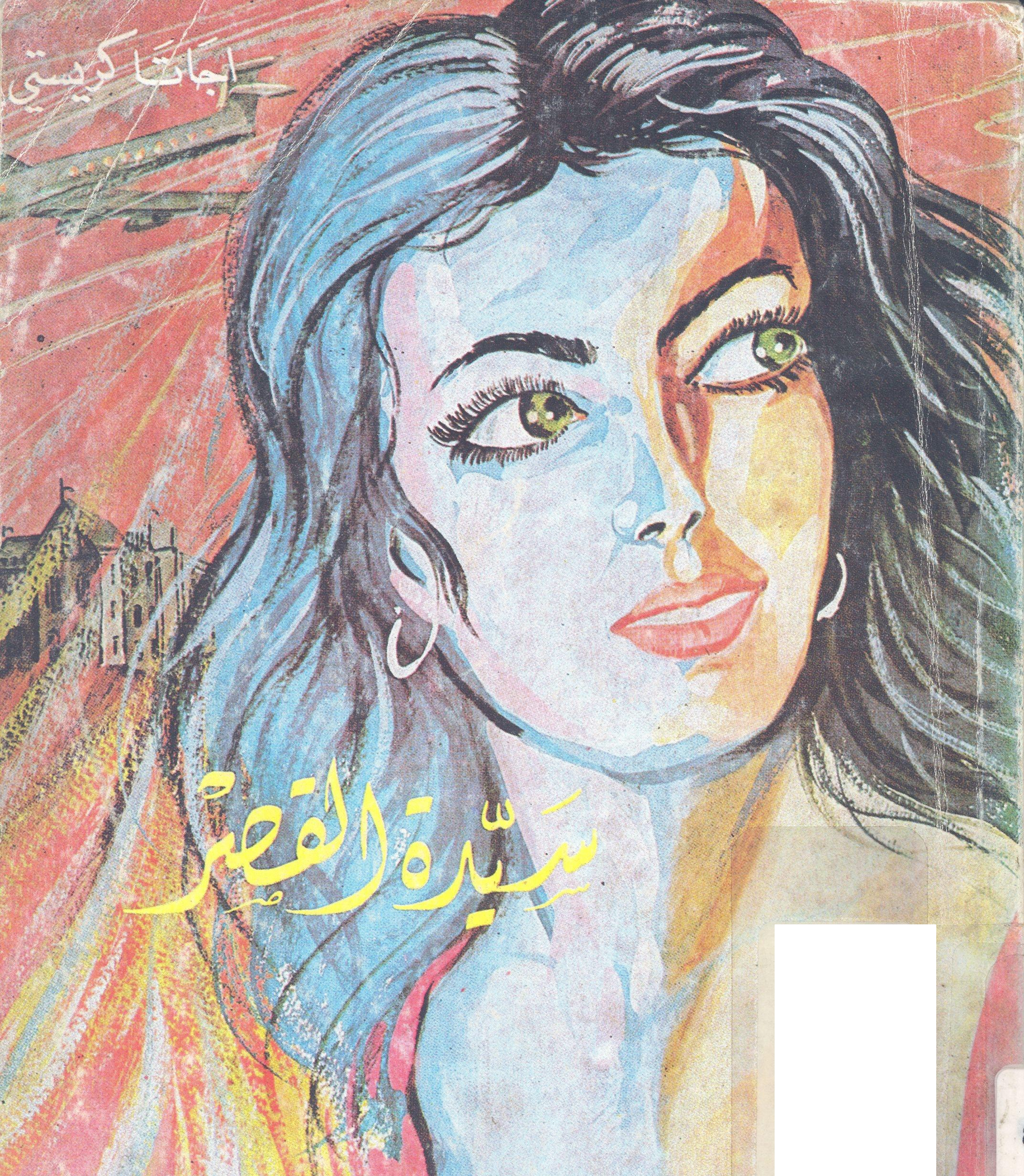


اجاثا كريستي
سيدة القصر

سيدة القصر

أجاثا كريستي

سيّدة القصر

المكتبة الثقافية
بيروت

سيدة القصر

- ١ -

قالت مضيفة الطائرة :

- أرجو ان تشدوا أحزمتكم ..

وتباطأ ركاب الطائرة في النزول على طلب المضيفة فقد كان هناك شعور عام بأن الطائرة لا يمكن ان تكون قد وصلت إلى مطار (جنيف) .

وكررت المضيفة طلبها :

- شدوا أحزمتكم .. أرجوكم .

ثم جاء صوت قائد الطائرة في المذياع موضحاً باللغات الألمانية والفرنسية والانجليزية انهم قادمون على فترة من الأحوال الجوية السيئة .

وتثاءب السير ستافورد ناي واعتدل في مقعده .. كان مستغرقاً في نوم عميق .. وكان يحلم في نومه بانه يصيد السمك في أحد الأنهار الانجليزية .. حين أيقظه صوت قائد الطائرة .

كان ستافورد ناي يناهز الخامسة والأربعين من العمر ، متوسط الطول ، أملس البشرة . حليق الوجه .. يحرص في ثيابه وتصرفاته على ان يلفت

اليه الأنظار .

وكان أحب ثيابه في أسفاره ، عباءة ، كتلك التي يرتديها قطاع الطرق . سبق ان ابتاعها في كورسيكا .. وكان لونها أزرق قاتماً .. وبطانتها قرمزية . ويتدلى منها غطاء للرأس يمكن استخدامه توقياً للتيارات الهوائية .

وكان السير ستافورد تاي مخيباً للامال التي عقدت عليه في السلك الدبلوماسي ولم يحقق ما كان متوقعاً له في شبابه ، إذ كانت تعتريه نوبة مرح شيطانية ودعابة خبيثة حين يجد الجد ..

وكان شخصية معروفة في الحياة العامة .. وإن لم يبلغ قمة المجد والشهرة . وكان رأي الناس في ستافورد تاي انه لن يقدر له على الرغم من توقد ذكائه ، ان يكون الرجل الآمن الوادع ، وبالذات في هذه الأيام المعقدة العلاقات الخارجية ، المتشابكة الاتجاهات السياسية ، الأمر الذي أدى إلى استبعاده من مناصب السفراء ، وإن عهدوا اليه من حين لآخر ، ببعض المهام التي تتطلب اتقان فن الدس والتآمر ، ولم تكن من الأهمية بمكان . وكان الصحفيون ينعتونه بأنه جواد الدبلوماسية الأسود .

ولم يكن احد ليعلم ، ما إذا كان السير ستافورد نفسه راضياً عن عمله من عدمه .

ولعله لم يكن يدري من أمر نفسه شيئاً . فلقد كانت للرجل نواحي غروره ، كما كان يطيب له ، ان يوغل في الإضرار بالناس ، إرضاء لنزواته .

وكان الرجل عائداً بعد الفراغ من تقصي الحقائق في الملايو . وكان يرى ان هذه المهمة تفتقر الى التشويق وذلك لأن زملاءه كانوا قد بينوا النية مسبقاً عما سينتهون اليه من آراء ، مهما يكن من أمر ما يشاهدون او يستمعون

وكان يوده لو بعث في اعمال اللجنة الحياة ، أو أثار في أذهان سائر الأعضاء ما ينحرف بهم عما التزموا به . وحتى مسز تاتانيل ادج ، المعروفة بنزولها ، لم تكن لتختلف عن زملائها .

وكان قد التقى بها من قبل ، في بعثة لحـــل مشكلة في إحدى عواصم دول البلقان .

وهناك ، لم يتورع السير ستافورد عن التقدم في إصرار ببعض الآراء المشوقة .

وألمحت بعض الصحف الى ما كان من علاقة بين وجود السير ستافورد ناي في تلك العاصمة البلقانية وبين ما أثير من مشكلات في البلقان . كما تحدثت عن مهمته السرية البالغة الدقة .

وقد بعث احد الأصدقاء بنسخة من هذه الصحيفة الى السير ستافورد ناي للاطلاع عليها ولكنه لم يفاجأ بما ورد بالصحيفة ، بل انفرجت شفتاه عن ابتسامة الرضا والسرور . كما طلب له ان يلمس مما نشر مدى بعده عن الواقع وما تردى فيه الصحفيون من خطأ . فلقد كان وجوده في (صوفيا جراد) ، راجعاً إلى اهتمام إحدى صديقاتـــه القدامى ، ليدي لوسي كليجهورن ، اهتماماً ملحاً ببعض الزهور البرية النادرة ، ورغبتها الشديدة في اقتناء بعضها .

* * *

وعاد صوت المضيفة يتردد في مذياع الطائرة لينبىء المسافرين بأنه بسبب كثافة الضباب في جنيف فقد تقرر التحول بمسار الطائرة الى فرانكفورت ، حيث تستأنف الرحلة بعدئذ إلى لندن .

وكان الجو في استراحة المسافرين بمطار فرانكفورت داكناً ، مما حدا بسير ستافورد ناي إلى التخلي عن عباءته ، وجلس يحتسي قدحاً من الجعة ، ويستمع بأذن غير واعية لمختلف الاذاعات عن مواعيد قيـــام الطائرات إلى شتى عواصم العالم .

وراح يتطلع بعينيه فيما حوله من اثاث وأناس واستقرت عيناه أخـيراً على الوجه الجالس إلى جانبه على الأريكة .

فقد بدا له أنه وجه مـــألوف لديه ، وإن كان لم يذكر أين ومتى التقى بصاحبته ، إنها لا تتجاوز السادسة والعشرين من عمرها ، ولهـا أنف أقنى جميل وشعر اسود غزير .

أما هي فإنها راحت تتفرس في وجهه وقد نحت المجلة التي بيدهـا جانباً ، وبغتة بادرته قائلة بصوتها الموسيقي وفي لكنة أجنبية خفيفة :

– هل يمكن أن نتجاذب أطراف الحديث ؟

وراح يتأملها قبل أن يجيب ، ولما اطمأن إلى أنها ليست من ذلك الطراز من النساء أجاب :

– ولم لا ؟ لدينا متسع من الوقت فيما يبدو .

– ضباب في كل مكان ، ضباب في جنيف وضباب في لندن ، است أدري ماذا أفعل .

– هوني عليك انهم يقدرون مسؤلياتهم ، إلى أين تذهبين ؟

– كنت ذاهبة إلى جنيف .

– إنهم سيحملونك اليها فوراً ، فإذا حدث هذا كان كل شيء على ما يرام ثمة من سيلتقي بي هناك وبهذا يمكن ان أصبح في أمان .

– أمان ؟

وابتسم قبل ان يسمعها تقول له :

– إن الأمان كلمة من أربعة احرف ، ولكنها تعني الكثير في أيامنا هذه

وتعني الكثير بالنسبة الي بالذات. فإذا لم يتسن لي السفر الى جنيف واضطررت إلى مغادرة هذه الطائرة هنا ، او اضطررت إلى أن اذهب بها إلى لندن دون الاعداد لذلك ، فإني اعرف ان القتل سيكون مصيري .. اظن انك لا تصدق هذا .

– الحقيقة اني لا اصدق .

– ولكنها الحقيقة المرة ، هناك مئات من الناس يقتلون كل يوم .

– ومن يا ترى يريد لك هذا المصير ؟

– وهل يغير هذا من الواقع شيئاً ؟

- كلا !

– لك أن تصدقني إذا ما أردت ذلك ، إني بحاجة ماسة إلى من يساعدني على السفر إلى لندن في أمان .

– ولماذا وقع اختيارك علي لأكون هذا الرجل ؟

– لأني أعتقد انك تعرف شيئاً عن الموت ، وربمـــا قدر لك أن تشهد لحظة من لحظاته .

فتأملها بنظرة فاحصة ثم قال :

– وهل ثمة من سبب آخر ؟

فمدت يدها تلمس طيات معطفه الفضفاض قائلة :

– أجل هذا .

ولأول مرة أثارت اهتمامه فسألها :

– والآن ماذا تعنين بقولك هذا ؟

– انه رداء غير عادي مميز الطابع . انه مما لا يرتديه الكثيرون .

– هذا حق انه إحدى هواياتي .

– وهي هواية يمكن أن أنتفع بها .

– ماذا تعنين ؟

- إنني سأسألك شيئاً وقد ترفض ولكني لا أظن انك ستفعل لأني أعتقد انك رجل تحب المخاطرة مثلي تماماً.

فانفرجت شفتاه عن ابتسامة باهتة وقال :

- اني مصغ اليك .

- إني بحاجة إلى هذه العباءة وبحاجة إلى جواز سفرك كما اني بحاجة إلى تذكرة سفرك إلى لندن إنهم سيعلنون في مدى عشرين دقيقة تقريباً عن قيام الطائرة المتجهة إلى لندن ، ولسوف اركب هذه الطائرة بجواز سفرك مرتدية عباءتك وبهذا اصل إلى لندن في امان .

- تعنين انك ستنتحلين شخصيتي .

ففتحت حقيبة يدها لتخرج مرآة صغيرة وقالت ·

- تأمل وجهك ثم تأمل وجهي لتتبين مدى ما بيننا من تشابه .

تطلع إلى وجهها فرأى انه وجه مألوف لديه .

انها تشبه شقيقته باميلا التي توفيت منذ عشرين عاماً . لقد كان الشبه بينهما كبيراً قال :

- اني ادرك ما تعنين غير ان هذا لن يخدع أحداً .

- بكل تأكيد ، ولكنك لم تفطن بعد لما أعتزم عمله . إنك تسافر واضعاً القلنسوة فوق رأسك وحول وجهك ، إن كل ما علي أن أفعله هو ان اقص شعري وأغلفه باحدى الصحف ثم القي به في سلة المهملات ، وبعد ذلك ارتدي معطفك . وأتسلم تذكرتك وجواز سفرك . واستقل الطائرة منتحلة شخصيتك وما لم يكن هناك من هو على معرفة وثيقة بك بتلك الطائرة — الأمر الذي استبعده — فإن كل شيء سيكون على ما يرام .

ولسوف أحرص على ان تخفي القلنسوة معظم قسمات وجهي فيما عدا انفي وعيني ولحي وهي التي يتركز فيها الشبه بيننا . فسأغادر الطائرة في أمان بعد وصولها لأن أحداً لا يعرف اني كنت مسافرة بها، فسأمضي في طريقي

قدماً متخذة من زحام لندن ستاراً

فابتسم السير ستافورد وقال متسائلاً :

– وما هو المطلوب مني ؟

– عليك أن تنهض من مكانك هذا وتتوجه لشراء مجلة او صحيفة او هدية بقاعة المبيعات . ولسوف تترك عباءتك فوق مقعدك فإذا ما قفلت راجعاً اتخذت لك مقعداً آخر ، فسيكون امامك هذا القدح ، فسيوضع به مـادة مخدرة .

– وبعد ؟

– فسيعرف للناس أنك كنت ضحيـة لمخـدر سلبت في أثره حافظة نقودك ، بجميع ما بها من اوراق ، فسيكون من السهل عليك أن تثبت شخصيتك .

– هل تعرفين من أنا

– كلا ليس بعد ، إني لم يطلع عـلى جواز سفرك بعد ، ولا أعرف من عساك تكون .

– ومع ذلك تقولين ان اثبات شخصيتي لن يتعذر علي .

– في مقدوري ان احكم على الناس من مظهرهم ، ولذلك تجدني واثقة من انك شخصية لها قدرها .

– وماذا يدعوني إلى الاقدام على هذا كله ؟

– لتنقذ حياة إمرأة في خطر

– ألا ترين معي ان القصة بعيدة عن التصديق ؟

– بلى فليس من اليسير تصديقها اراك اقتنعت بها ؟

فتأملها عن كثب قائلاً :

– اراك بمثابة الجاسوسة الحسناء في قضية مثيرة .

– ربما ولكنني لست بالحسناء .

- ولست بالجاسوسة ؟

- ربما انطبق علي هذا الوصف، إذ لدي بعض المعلومات ، معلومات أريد الاحتفاظ بها ، معلومات لها قيمتها في نظر بلادك .

- ألا ترين أن فيما قلت مبالغة لا تتفق والمنطق السليم ؟

- بلى ولكننا في عصر لا يستبعد فيه شيء .

وعاد يتأملها ، انها تشبه باميلا شقيقته إلى حد بعيد .

إن فيما تعرضه عليه ما يثير السخرية أولاً ، وما ينزلق بالمرء إلى مهاو من المخاطرة ثانياً .

وهذا هو بالذات ما يثير فضوله لأن فيه الكثير مما يتفق مع ميوله ونزواته ، وأخيراً بادرها قائلاً :

- بودي لو عرفت ماذا يعود علي من قبول عرضك ؟

فتفرست فيه ملياً وهي تقول :

- الاثارة بمجرد التغيير والخروج عن المألوف ، انه ترياق للسأم ، ومهما يكن من أمر فالكلمة العليا والأخيرة لك .

وماذا عن جواز سفرك ؟ هل يتعين علي أن أنتحل شخصية امرأة وأبتاع شعراً مستعاراً ؟

- كلا ، انك لن تحل محلي ، لن تكون بك حاجة لشيء من هذا بعد أن تعلن حقيقة شخصيتك وانك قد خدرت وسلبت ، عليك أن تحزم أمرك ، فليس ثمة متسع من الوقت ، وعلي ان أعد نفسي لما هو آت .

- لك ما تريدين ، اني لا أستطيع أن أرفض كل ما هو غير عادي مما يعرض لي من أمور .

- كنت أرجو أن يكون هذا رأيك

وأخرج ستافورد ناي جواز السفر من جيبه ووضعه في جيب معطفه الفضفاض . ثم نهض عن مقعده يتثاءب ويتطلع فيما حوله والقى نظرة على

ساعته واتجه إلى بناح المبيعات ، حيث ابتاع بعض هدايا الأطفال وكتاباً مغلفاً ، وقفل راجعاً إلى حيث كان جالساً .

ولم يجد الفتاة ولا العباءة ووجد قدح الجعة حيث تركه ، فالتقطه ليفرغ محتوياته في جوفه وكان مذاقه لا يختلف في شيء عن مذاقه قبل أن يوضع به المخدر .

ومشى عبر القاعة إلى ركن بعيد منها ، وهو في عجب من كل ما حدث ويحدث ، واتخذ مجلسه بجوار عائلة كان افرادها يضجون بالضحك وهم يتجاذبون أطراف الحديث ، وأسند رأسه إلى ظهر مقعده وهو يتثاءب .

وبعد أن شرع في تصفح كتابه ، شعر برغبة شديدة في النوم .. وسمع عن بعد صوت المذيع يعلن عن قرب إقلاع طائرته المسافرة إلى لندن — الطائرة رقم ٣٠٩ .

وبين صفوف المسافرين الذين نهضوا مسرعين عقب سماعهم المذياع ، شوهد رجل متوسط الطول يرتدي عباءة زرقاء داكنة تكشف ثنياتها ع طانتها الحمراء وقد غطى رأسه بقلنسوة أخفت معظم وجهه .

وبعد أن أبرز الرجل تذكرة سفره ، اجتاز الباب رقم ٩ ، ثم سمع صوت المذياع يعلن :

— هل للآنسة دافن ثيودوفانوس المسافرة إلى جنيف ، أن تتفضل بالحضور إلى مكتب الطيران ، إن المسافرين إلى جنيف سيصلون اليها عن طريق اثينا إن الطائرة تتأهب الآن للاقلاع .

وتوالت النداءات لمختلف المسافرين إلى اليابان ، ومصر ، وجنوب افريقيا. وكان من بين المسافرين إلى جنوب افريقيا مستر سدني كوك ، الذي دعي للتوجه إلى مكتب الطيران حيث توجد رسالة له ..

وفي ركن من المكان كانت هنالك فتاة صغيرة تتأمل ذلك الرجل الذي يغط في نومه ، مسنداً رأسه الى ظهر مقعده ، وممسكاً بدمية لحيوان اللاما .

ومدت الفتاة الصغيرة يدها صوب الدمية .

ونهرتها امها قائلة :

– جوان اياك أن تفعلي هذا ان السيد مستسلم للنعاس .

– ترى ما هي وجهته ؟

– ربما كانت استراليا ايضاً كما هي وجهتنا .

– وهل له ابنة صغيرة في مثل عمري ؟

– اعتقد هذا .

وتأملت الفتاة الدمية في حسرة ، وكان السير ستافورد ناي ما زال يغط في نومه مستمتعاً باحلامه المختلفة ، ولم يكن قد سمع من اعلانات المذياع غير اولها الخاص بمس دافن تيودوفانوس ، ثم استسلم لنوم عميق .

- ٢ -

بعد ان أعد السير ستافورد ناي لنفسه قدحاً من القهوة ، راح يتصفح بريد الصباح ، ولم يجد به شيئاً ذا أهمية خاصة . والقى بالرسائل مع غيرها فوق المنضدة ليفرغ إلى قهوته وإفطاره .

ثم عاد ليلتقط الرسائل التي فضها عند وصوله في ساعة متأخرة من الليلة الماضية ، وكان يبتسم وهو يعيد قراءة إحداها قائلاً :

- الحادية عشرة والنصف، إنها لساعة مناسبة، يحسن بي ان أعيد التفكير في بعض الأمور ، مع الاستعداد لشيتويند .

وبعد قليل ، غادر بيته إلى الشـــارع ، ومشى عبر منتزه جرينبارك في طريقه إلى هوايتهول . وكان منشرح الصدر يرى من الحياة جانبها المشرق . وبدأ يستعرض كل شيء عن شيتويند، إذ شيتويند أحمق مأفون .. إنه واجهة حسنة ، وشخصية تبدو هامة ، وله ذهن مدقق مرتاب ، وهو واثق من انه يتمتع بهذا اللقاء

ووصل إلى هوايتهول متـأخراً بضع دقائق عن الموعد المحدد ، والفى شيتويند جالساً الى مكتبه وأمامه مختلف الأوراق ، واستقبله شيتويند مبتسماً مرحباً وهو يقول .

- مرحباً ناي ، عود سعيد ، كيف وجدت بلاد الملايو ؟

- حارة .

- هذا هو المفروض فيها . أعتقـد انك كنت تعني مناخاً ، وليس السياسة ؟

- مناخاً ، بداهة .

واتخذ له مقعداً ، وتابع المضيف يسأل :

- هل توصلت إلى بعض النتائج ؟

- نتائج لا تكاد تذكر .. لقـد بعثت بتقريري .. كيف حـال لازنباي ؟

فقال له شيتويند :

- مصدر مضايقة كالعهد به . إنه لن يغير من شأنه

- إن هذا أكثر مما يرجى منه . أمّا من أنباء أخرى .

- كلا لا جديد .

- لم أفهم من مكتوبك لماذا رغبت في هذه الزيارة .

- لمجرد استعراض بعض الأمور معك ، فربما تكون قد جئتنا ببعض التوجيهات الخاصة ، مما يمكن أن نمد له ونتأهب للاجابة عليه في مجلس العموم . اي شيء من هذا القبيل . لقد عدت جواً ، اليس كذلك ، يخيل إلى انه صادفتك بعض المتاعب .

واكتسى وجه ستافورد ناي بالقناع الذي أعده لهذا الموقف . قناع الجد والضيق معاً .

ثم قال :

- إذن فقد سمعت بما حدث ؟

- نعم نعم ، هذا بديهي يا له من موضوع عجيب .

- قد أولته صحف الصباح أهمية بالغة .

- لعلك كنت تفضل ألا يحدث هذا ؟

– إن حدوثـه لشخص في مثـل عمري ومركزي ، يظهرني بمظهر الغر الأبله .

– ماذا حدث على وجه التحديد ؟ لقد دار بخلدي ان الصحيفة بالغت في عرض الحقائق .

– هذا دأب الصحف دائمـاً ، وأنت تعرف مدى ما يكتنف هـذه الرحلات من ملل . قيل بأن الضباب كان كثيفاً في جنيف ، مما استوجب تغيير مسار الطائرة الى فرانكفورت ، حيث مكثنا في الانتظار ساعتين كانتا مبعثاً للسأم والضجر .

– وماذا حدث إبان هذه الفترة ؟

– جلست أتحايل على ملل الانتظار ، بتناول قدح من الجعة ، وقراءة ما كنت أحمل من صحف ومجلات ، ثم رأيت ان أتوجه لابتياع قصة بوليسية ، ودمية لإحدى بنات إخوتي .

وعدت لأجرع ما تبقى من كأسي وأشرع في قراءة قصتي الجديدة ، وكان أن استغرقت في النوم ، واعتقد ان هذا أمر طبيعي . وكنت مستسلماً للنعاس بحيث لم أسمع شيئاً عن قرب قيام طائرتي ، مع انني كنت أسمع دائماً كل نداء في أسفاري مهما كنت نائماً .

وصحوت من نومي ، او قـل عدت الى صوابي ، لأجـد من يقوم على رعايتي طبيباً .

وكان واضحاً ان شخصاً ما قد دس لي مخدراً في شرابي أثنـاء غيابي عن مقعدي لشراء الكتاب والدمية .

– إنه لأمر يدعو للدهشة ، أليس كذلك ؟

– بلى ، وهو ما لم يحدث لي من قبل .

وقد اكتشفت سرقة حافظة نقودي بما فيها من أوراق كان من بينهـا جواز سفري . ومع ذلك فلم يتعذر علي إثبات حقيقة شخصيتي بفضل ما كان

معي من رسائل وأوراق أخرى في بعض جيوبي الداخلية .

– ومع ذلك ، فهو حادث مؤسف ، وخاصة لرجل في مثل مركزك .

وكان صوت شيتوبند مشوباً بما ينبىء عن عدم رضائه مما حدث ، وتابع قائلاً :

– مهما يكن من أمر فأنت لا لوم عليك ولا تثريب ، فمن الجائز أن يقع هذا لغيرك

– ومع ذلك فقد لقنت درساً قاسياً .

– ألم يدر بخلدك ، ان ثمة من كان يهدف إلى الاستيلاء على جواز سفرك بالذات ؟

– لا أعتقد هذا . ولماذا ؟ وفيم هذا العناء ؟

– هل التقيت في فرانكفورت بشخص الك به سابق معرفة ؟

– كلا .

– ألم تتبادل حديثاً مع أحد ؟

– مجرد حديث عابر مع البعض حول موضوعات تافهة .

– إن المرء يميل الى الاعتقاد بأن ثمة شيئاً ما وراء هذه الأحداث .

– لا أرى ما يمكن ان يختفي وراء ما وقع لي . وعلينا ألا نبالغ في تصور أشياء أبعد ما تكون عن الواقع دعنا من هذا الحديث . كيف حال ليلاند العجوز ؟ فقد سمعت عنه الكثير هناك .

وتجاذب الرجلان الحديث طوال عشر دقائق ، نهض السير ستافورد بعدها منصرفاً.

وغادر الغرفة منشرح الصدر ، يحيي هذا وذاك ممن التقى بهم في الدهليز . وبعد انصرافه اتصل شيتوبند بسكرتيرته تليفونياً ، وطلب اليها ان تدعو الكولونيل مونرو للحضور الى مكتبه .

وأقبل الكولونيل مونرو ، وفي صحبته رجل ، في منتصف العمر ، وقال :

ـ لست أدري ما اذا كان لك سابق معرفة بهوورشام ، من رجال الأمن .

ـ أعتقد اننا التقينا قبلاً .

وتابع الكولونيل مونرو قائلاً :

ـ لقد كان ناي مجتمعاً بك ، اليس كذلك ؟ ماذا عن تلك القصة التي جرت أحداثها في فرانكفورت ؟ أعني ، هل من جديد جدير بالاهتمام .

ـ لا اظن ، انه جد آسف لما حدث .

فأومأ الرجل المدعو هورشام برأسه قائلاً :

ـ آسف لأن ما حدث يظهره بمظهر الغافل ، اليس كذلك ؟

ـ بلى وان كان قد حاول أن يهون الأمر .

فانبرى هورشام قائلاً :

ـ غير انه ليس بالغر الأحمق كما نعرف عنه ، اليس كذلك ؟

ـ ان مثل هذه الأحداث ليست بالمستبعدة ، بصفة عامة .

فقال الكولونيل مونرو :

ـ نعم ، نعم ، أدرك هذا ، غير اني كنت أرى في ناي دائماً ، انه لا يرجى منه خير ، وانه قد يجانبه الصواب في الكثير من آرائه . ولكنه مع ذلك ، ليس بالرجل الغافل . ألم يدر بخلدك ، ان ثمة ما يثير الشك فيما حدث ؟

وكانت الجملة الأخيرة موجهة الى هورشام الذي قال :

ـ من جانبه ؟ لا اظن ذلك .

ـ هل توليت فحص الموضوع بأمره يا هورشام ؟

– لم يكن لدينا متسع من الوقت للتركيز على جميع الاحتمالات . ولكننا نعرف ان جواز سفره قد استعمل .

– استعمل ؟ وكيف كان ذلك ؟

– في مطار هيثرو ، هنا في لندن .

– هل تعني ان أحداً ما قد انتحل شخصية السير سانفورد تاي ؟

– الى حد ما ، والجدير بالذكر ، انه لم يكن قد ورد لنا اخطار عن فقد الجواز ، لأن السير سانفورد لم يكن قد استفاق بعد ، ليتبين ما حدث .

– بمعنى ان السارق ، قد استغل جواز السفر ، في دخول انجلترا ؟

– نعم .. هذا هو المفروض . وهذا ما يمكن ان يعد تفسيراً لما حدث في استراحة مطار فرانكفورت . وقد دس المخدر في شراب السير سانفورد لسرقة الجواز .

فقال شيتويند :

– من المفروض ان المختصين يتفرسون في صور الجواز الفوتوغرافية ، وفي محيا حامله .

فقال هورشام :

– لا بد وان يكون هناك شبه كبير بين المختلس للجواز وبين صاحبه الأصلي . فضلاً عن انه لم يكن ثمة ما يثير الشك في احتمال وقوع شيء من هذا القبيل .

وغني عن البيان انه ما لم يحدث شيء يدعو الضابط المختص لامعان النظر في الجواز فإنه يكتفي بالقاء نظرة عابرة في زحمة المسافرين الوافدين والبحث مستمر لكشف النقاب عن سر استعمال هذا الجواز .

– وما هو رأيك الخاص ؟

ــ لم أنته بعد الى رأي معين لأني لا أحب القفز الى النتائج دون روية .

وبعد ان غادر هورشام الغرفة قال الكولونيل مونرو :

ــ كلهم سواء لا يكشفون عن آرائهم قبل الأوان ؛ هذا هو شأن رجال الشرطة .

فعقب شيتويند قائلا :

ــ هذا طبيعي لأنهم يخشون الوقوع في الخطأ .

ــ ان هورشام شخص كفء وهو موضع ثقة جميع رؤسائه .

- ٣ -

عاد السير ستافورد إلى مسكنه ، واستقبلته إمرأة بدينة بباب المطبخ بقولها :

– حمداً لله على سلامة العودة . يا لتلك الطائرات المقيتة ان السفر بها غير مضمون العواقب .

– نعم ، يا مسز ووريت .. كان هناك تأخير طال أكثر من ساعتين .

– اني لا أحب السفر بها .

وبعد ان ذكرت له ما أعدته له من أنواع الطعام للغداء ، وأطرى ذوقها فيما وفقت اليه من ألوان ، عادت مسز ووريت إلى مواصلة عملها قريرة العين .

ثم سمعها تقول له ·

– لعلك تقر ما فعلته بتسليم ثيابك إلى الشخص الذي قدم لتسلمها ؛ مع انك لم تحطني علماً بذلك .

فوقف السير ستافورد أمام باب الغرفة فسألها :

– أية ثياب ؟

– حلتان كما قال الرجل . لقد قال انه موفد من شركة تويسي وبوني

لتنظيف الملابس . وقد سبق ان اختلفنا مع شركة هوايت سوان ، على ما أذكر .

- حلتان ؟ ما هي أوصافها ؟

– إحداهما الحلة التي كنت ترتديها حين عودتك من الخارج ، ولم يكن لدي أدنى شك في انها بحاجة إلى التنظيف . ثم رأيت ان تكون الثانية هي الحلة الزرقاء التي لم يعهد بها للتنظيف منذ فترة طويلة .

وكانت مسز ووريت تتحدث حديث الواثق من انها أحسنت صنعاً . غير انها سمعته يعقب بقوله :

– إذن ، قد فاز هذا الشخص المجهول بالحلتين ؟

وبدأ الشك يساور مسز ووريت التي قالت :

– أتراني أخطأت ؟

– إن الحلة الزرقاء لا تعنيني في كثير أو قليل . أما الأخرى التي كنت أرتديها عند عودتي من الخارج . .

– لست أرى ضيراً في تنظيفها ، وبالذات لأنها لا تناسب هذا الفصل من السنة . ثم انه قال انك اتصلت بهم تليفونياً ، وحددت لهم أوصاف الحلتين .

– وهل دخل غرفة نومي لحملها ؟

– نعم يا سيدي ، فقد رأيت ان هذا أفضل .

– عظيم ، عظيم ، رائع .

وخطا إلى غرفة نومه يجيل النظر فيما حوله .

ولقي ان مسز ووريت لم تغفل شيئاً ، ولم تدخر وسعاً في العناية بنظافتها وحسن إعدادها .

واتجه الى الدولاب يتفقد ما بداخله ، وتبين ان الرجل أياً كان قد حرص على ألا يترك ما ينم عن عبثه بالأدراج بحثاً عما يريد ، وانه قد حمل معه الحلتين

اللتين أتى في طلبها .

وأخذ السير ستافورد يستعرض في ذهنه جميع الاحتمالات واستقرت عيناه على الدمية الموضوعة فوق المنضدة المجاورة للفراش . وأثارت رؤيتها في ذهنه خواطر شتى .

فنهض الى التليفون يدير قرصه قائلاً :

ـ العمة ماتيلدا ؟ ستافورد يتحدث اليك .

ـ إذن فقد عـدت يا ولدي العزيز . إنني مسرورة كثيراً بعودتـك . لقد قرأت بالصحف عن الكوليرا في ماليزيا . أتمنى ان أراك قريباً ولا تعتذر بكثرة مشاغلك .

ـ ما رأيك بالأسبوع القادم؟

ـ كلا الغد أفضل .

ـ آسف ، إذ لدي من الأعمال ما لا يتيح لي زيارتك قبل الأسبوع القادم . كيف حال سيبيل ؟

ـ إنها فتاة شريرة ولكنها مسلية .

ـ قد اشتريت لها دمية أتمنى ان تحوز إعجابها .

واستمع إلى العمة ماتيلدا وهي تذكره بمواعيد القطارات، وتسأله ان يرسل اليها بضع ألوان من الجبن وغيره .

وبعد انتهاء المكالمة مباشرة ، رن التليفون ، فرفع السير ستافورد السماعة ليسمع المتحدث يقول :

ـ ألو ؟ ستافورد ؟ اريك بيو يتحدث اليك . قد علمت بعودتك من ماليزيا ما قولك في تناول العشاء معي الليلة ؟

ـ ليكم يسعدني هذا .

ـ حسناً بنادي ليمباتز ، في تمام الثامنة والربع ؟

وبعد الفراغ من هذه المكالمة اقبلت مسز ووريت قائلة :

– ثمة زائر بالطابق الأرضي .
– من عساه يكون ؟
– يدعى هورشام يا سيدي
– هورشام ؟
ودهش السير لهذه الزيارة المباغتة .

وهبط الدرج إلى قاعة الاستقبال الكبيرة ، حيث وجد هورشام الذي بادره قائلاً :
– أتمنى ألا أكون قد أزعجتك .
– لا عليك من هذا .
ومد له يده بصندوق السجائر مستطرداً :
– تفضل بالجلوس هل من خدمة ؟
وبدأ هورشام الحديث بقوله .
– إن المستر جوردون شيتويند شخص لطيف المعشر وقد كنت مجتمعاً به بصحبة الكولونيل مونرو ، أثر إنصرافك من مكتبه مباشرة ولقد وفقنا في طمأنته . إنهم قلقون لأجلك ؟
– لأجلي ؟
وراح السير يدخن في هدوء وهو ينظر ملياً إلى هنري هورشام متسائلاً فقال هذا :
– هل لي ان أستفسر عن خطوتك التالية ؟
– بكل سرور . إني مسافر للاقامة مع عمتي ليدي ماتيلدا كلكهيتون وسأزودك بالعنوان اذا أردت .
– أعرفه وانها فكرة صائبة .
– وهل هذا ما يراه الكولونيل مونرو والمستر شيتويند ؟
– انك خير من يعرف يا سيدي .

إنهم في حيرة بشأنك أيثقون بك ام لا يثقون ؟
– يثقون بي ؟ ماذا تعني ؟
وكان السير ستافورد ناي محتداً ، وهو يستوضح مستر هورشام عما يعنيه .
بينما راح هذا يبتسم في هدوء قائلاً :
– سيدي .. المتداول عنك انك لا تأخذ الأمور مأخذ الجد .
– فهمت . لقد خيل لي انك تعني شيئاً آخر .
– كلا .. يا سيدي .. هذا هو رأيهم فيك ... حبك للدعابة من حين لآخر .
– ما اظن ان في قدرة المرء ان يكون جاداً على طول الخط .
– غير ان هذا قد بلغ حد المخاطرة .
– اني لا اعرف عم تتحدث ؟
– سأصارحك بكل شيء .. قد يقع احياناً يا سيدي ما ليس في الحسبان فتنحرف الأمور بما لم يقدر لها . وقد تمتد يد القدر أحياناً او قل يد إنسان كما حدث ..
فقاطعه السير بقوله :
– العلك تلمح الى ذلك الضباب في جنيف ؟
– تماماً يا سيدي .. لقد كان لهذا الضباب أثره ، في تغيير خطط البعض ..
وكان ان وجد إنسان ما نفسه في مأزق حرج ..
– أخبرني ، بكل شيء .. فإنني أريد ان الم ، بكل ما تعرف .
– لقد تخلف أحد المسافرين حينما غادرت طائرتك مطار فرانكفورت بالأمس .. وكنت تغط في نوم عميق بعد ان اتيت على شرابك واتخذت لك

مجلساً في ناحية من استراحة المطار وكانوا يواصلون النداء باسم هذه المسافرة المتخلفة قبل إقلاع الطائرة .

– ترى ماذا كان من أمرها ؟

– بودنا لو عرفنا الاجابة عن هذا السؤال .

وجدير بالذكر ان جواز سفرك ، على الرغم من تخلفك قد قدم إلى موظفي مطار هيثرو بالأمس .

– وأين هو الآن ؟ هل افترضتم انه اعيد الي ؟

– كلا ، إنه افتراض يتجاوز كل الحدود . لقد كان لهـــذا المخدر أثره المرتقب دون أن يكون له أي أثر سيء عليك صحياً

– لقد أصابني بصداع شديد .

– هذا ما لم يكن في وسعك تجنبه في مثل تلك الظروف .

– ما دمت فيما يبدو ملماً بكل شيء ترى ماذا كان يحــدث لو اني وأنا أقول لو رفضت العرض الذي قدم الي ؟

– كان الرفض يعني النهاية لماري آن

– ماري آن ؟ ومن عساها أن تكون ؟

– إنها مس دافن ثيودوفانوس .

– هذا هو الاسم الذي يخيل الي اني سمعته في مذياع المطار .

– نعم ، فهذا هو اسمها الذي كانت تتسمى به في سفرها إننا ندعوها باسم ماري آن

- وما هي حقيقة امرها ، هل لي ان أعرف ؟

– إنها قمة في عملها .

– وما هو عملها ؟ اهي معنا ام مع غيرنا . وهذا بشرط أن تحــدد مفهوم كلمة « غيرنا » لديك .

– أدرك ما تعني وأعتقد انه ليس من اليسير تحديد ذلك

فأطرق السير ستافورد ناي قليلاً
ثم قال :

ـ مـــاري آن ، انه اسم لا يتمشى مع اسمها الحقيقي ـ دافن ثيودوفانوس .

ـ ان أمها يونانية .. ووالدها انجليـزي .. وجدهــا كان من رعايا النمسا !

ـ ترى ماذا كان يمكن ان تتعرض له لو لم أوافق على إعـــارتها رداء ما ؟

ـ كان يمكن ان تقتل .

ـ حقاً !

ـ نعم .. إن ما يقع في مطار هيثرو يقض مضاجعنــا ، ولو كانت هذه الطائرة قد واصلت طريقها الى جنيف ، لجرت الأمور على خـــير ما يرام . ولكانت صاحبتنا قد غادرتها في رعاية كاملة .. أما وقــد تغير مسار الطائرة .. فإنه لم يكن من المستطاع اتخاذ الاجراءات اللازمة لحمايتها .

ـ لقد أثرت في نفسي القلق عليها ، ارجو ان تكون بخير !
ـ هذا ما نرجوه ، اننا لم نسمع ما يفيد العكس .
فقال السير ستافورد ناي ، معقباً :
ـ قد يكون فيما سأرويه لك ما يفيدكم ..

فقد قــام بزيارتي ، اثنــاء وجودي في الصباح بهوا يتهول . شخص زعم انه من شركة تنظيف ، وأخــذ حلتين ، كانت احداهما تلك الحلة التي كنت ارتديها بالأمس . وثمة اكثر من احتمال يفسر به هذا الفعل .

ـ لعله كان يبحث عن شيء معين .

- هذا ما أعتقده ، وإن كان قد بالغ في حرصه على ألا يشعرني بشيء غير طبيعي ، حقيقة انه أعاد تنظيم أدراجي بدقة ، ولكنه لم يعد الأشياء إلى مكانها الذي كنت قد تركتها به ، ترى عم كان يبحث ؟

- لا أستطيع أن أجزم بشيء ، إن ثمة أموراً تجري - هذا ما لا شك فيه وهذه الأمور تجري هنا وهناك ، وقد تكون صادرة عن دوافع سياسية أو دوافع مالية . إن لك معرفة بمستر روبنسون اليس كذلك ؟ أم لعل له بك معرفة فيما أظن .

فأطرق السير ستافورد قبل أن يجيب :

- روبنسون ؟ روبنسون انه لاسم انجليزي جميل .

ثم تطلع إلى هورشام وتابع :

- مكتنز الوجه اصفره ؟ بدين ؟ له نفوذه في كثير من الصفقات المالية بصفة عامة ؟ أتراه هو الآخر في صف الملائكة ؟

فقال هورشام :

- لست أعرف شيئاً عن الملائكة ، فقد أخذ بيدنا ليخرج بنا من مأزق حرج أكثر من مرة في بلادنا هذه ، ولا يتصل به من هو من طراز مستر شيتويند ، لأنهم يعتقدون انه يكلفهم كثيراً .

فسأله ستافورد :

- حبذا لو زدتني إيضاحاً ، لقد اختلط الأمر علي .

وتطلع ستافورد إلى هورشام في فضول .

فأومأ هذا برأسه نفياً وهو يقول :

- إننا لا نعرف شيئاً على وجه التحديد .

- ترى بماذا يمكن أن احتفظ بمسكني مما مَن شأنه أن يثير فضول المشوقين إلى العثور عليه ؟

- أصارحك القول بأنه ليست لدي أية فكرة عن ذلك .

– انه لأمر مؤسف . ان كل ما كان بيني وبين ماري آن هذه هو انها سألتني أن أعينها على انقاذ حياتها ، وأخذت مني ، ولم تعطني شيئـــاً أحتفظ به لها .

– إذا لم تنشر صحف المساء شيئاً عنها ، فإنك تكون فعلاً قد أنقـذت حيـاتها .

– وبهذا تختتم القصة فصولها . يا للأسف فلقد استبد بي الفضول لكم كان بودي أن أعرف المزيد .

- ٤ -

ابتدر إيريك بيو صديقه قائلا :

- هل لي أن أحدثك بشيء !

وتأمله السير ستافورد تاي ، الذي كانت له معرفة سابقة بايريك بيو ، امتدت أعواماً .

ولم تكن العلاقة بين الرجلين وثيقة ، لأن السير ستافورد كان يرى في إيريك شخصية مملة .

غير ان الرجل كان من الأصدقاء المخلصين له ، ومن ذلك الطراز الذي يحب أن يدس أنفه في شؤون الناس .

استمع اليه ستافورد وهو يستطرد متسائلاً :

- لقد عدت بعد انتهاء مؤتمر ماليزيا اليس كذلك ؟

- بلى ..

قال إيريك

- هل وعيت من الأمور ما كان له اهمية خاصة ؟

- كان كل شيء عادياً ، ومضى المؤتمر قدماً كما كان مقدراً له ، ان هذه المؤتمرات الزاخرة بالخطب الملتزمة بموقف معين المعروفة النتائج تضجرني وتبعث في نفسي الملل .

وتحدث إيريك بيو عما يخطط له الصينيون ويعتزمون القيام به . فعقب السير ستافورد على ذلك بقوله :

– لست أعتقد انهم يدبرون أمراً ، هذه مجرد شائعات إن ماو العجوز جد معني بمقاومة مرضه ومن يتآمرون عليه .

– وماذا عن النزاع العربي – الاسرائيلي .

– إنه يسير في طريقه المرسوم ، ومهما يكن من أمر ، فما هي العلاقة بين هذا وبين ماليزيا ؟

قال إيريك :

– إني لم أكن اركز على ماليزيا بالذات .

– ماذا بك ؟ وفيم هذا التجهم ؟

– كنت اتساءل عما إذا كنت قد قمت بشيء يلطخ سمعتك ؟

فحملق السير ستافورد ناي في وجه محدثه دهشاً ..

ثم قال :

– أنا ؟

– انك خير من يعرف نفسه ، إنك تحب أحياناً أن تعبث بمشاعر الناس، لتسخر منهم .

– لقد أقلعت عن ذلك أخيراً ترى ماذا سمعت عني ؟

– سمعت ببعض المتاعب التي حدثت في الطائرة التي كان مفروضاً أن تستقلها في عودتك .

– وممن سمعت بهذا ؟

قال إيريك :

– من كارثيزون !

– يا له من عجوز يخرف بتخيل من الأمور ما لم يحدث على الاطلاق .

– اعرف عنه هذا ولكنه في هذه المرة كان ينقل عن وينترتون فيما أظن ،

ما سمعه .

– وماذا سمع .

– إن هناك حلقة من الجاسوسية يشفق منها على بعض الناس .

– وماذا يرون في – هل أنا جاسوس آخر ؟

– أنت تعرف انك لا تتحرى الدقة فيما يصدر عنك ، جرياً وراء ولعك بالدعابة .

– يا صديقي ، إن رجال السياسة والدبلوماسيين ومن هم على شاكلتهم ، قوم نزاعون إلى الانطواء على أنفسهم ، وهذا هو السر في ولعي بإثارة جمودهم من حين لآخر .

– إني أشفق عليك من هذا الولع ، إنهم يريدون توجيه بعض الأسئلة اليك عما حدث بتلك الطائرة العائدة الى لندن ، ويبـــدو انهم يعتقدون انك لم تصدقهم القول

- إذن فهذا هو رأيهم ، رائع اني سأضاعف من شكوكهم .

- اياك أن تفعل .

– إنها فرصتي .

– استمع الي أرجو ألا تسيء الى مستقبلك بهذا الانقيـاد في غير تبصر لذلك الولع بالدعابة والهذر .

– لقد ضقت ذرعاً بكل هذه القيود الوظيفية .

– وهذا الاستهتار هو الذي كان يعوقك ، فلم تبلغ من المناصب الرفيعة ما بلغه رفاقك .

– هون عليك يا صديقي ان حب الدعابة ليس جرماً .

ولم يجد ايريك بداً من أن يلوذ بالصمت ويكف عن مجادلة صديقه وهكذا صفا جو الأمسية واستمتع الرجلان بعشائهما .

وعاد ستافورد الى المنزل سيراً على الاقدام عبر جرين بارك .

وبينما كان يخطو عبر الطريق ، مرت بجواره سيارة مسرعة كادت تدهمه لولا انه أسرع بالقفز الى الافريز لينجو بحياته . وسرعان مـا اختفت السيارة بعيداً وتركته يتساءل عن السر في محاولتها القضاء عليه .

ولكن لم كل هذا الذي يتعرض له ؟ فها هو مسكنه يعبث به . وها هي حياته تتعرض للخطر .

وبدأ يشعر بالخطر المحدق به

ودلف الى المنزل ، والتقط بريد المساء والقى نظرة عليه ، وراح يتصفح مجلة لايف بوت المشترك فيها ، وكان يطوي الصفحات وهو شارد الذهن .

ثم توقف فجأة بعد أن استلفت نظره ذاك الشيء المودع بين الصفحات ، وتأمله ليتبين انه جواز سفره يعاد اليه وقد الصق به طابع العودة الى مطـار هيثرو بلندن .

إذن فقد رجعت الى لندن في سلام ، ورأت أن تعيد اليه الجواز بعـد استعماله . ترى أين هي الآن ؟ كم يود لو تسنى له ان يعرف .

وتساءل عما اذا كان سيقدر له أن يلتقي بها ثانية . من عساها أن تكون؟ ورأى انه أشبه بالمشاهد لمسرحية يجلس في انتظار الفصل الثاني .

ولكن .. فيم هذا الترقب لرفع الستار عن الفصل الثاني ؟ انها ليست من الجمال الى هذا الحد الذي يجعله يتوق الى لقائها اذا ما رفع الستار عن الفصل الثاني من هذه القصة . ومع ذلك ، فإن هذا الغموض الذي يكتنفها هو الذي أثار في نفسه هذا الفضول .

ولكنه لا يحب أن يمضي أيامه في حيرة وتساؤل . ورأى انه يجب أن يفعل شيئاً ، فنهض يحرر اعلاناً لنشره بالصيغة التالية :

« مسافر الى فرانكفورت ، ٣ نوفمبر . نرجو الاتصال برفيق السفر في لندن » . فإذا ما قدر لها ان تقع عيناها على هذا الإعلان ، فإنها ستدرك مغزاه وفحواه . ومن هنا يمكنها ان تتصل به لأنها تعرف اسمه وعنوانـه من جواز

سفره ، وقد لا ترى الاتصال به على الرغم من ذلك . ولعلها قد رحلت عن لندن ثانية بعد أن أنجزت ما قدمت من أجله .

وفي الصباح التالي ، بينما كان في طريقه إلى منزله مجتازاً منـــتزه سانت جيمس . حاول ان يستعيد صورة شقيقته باميلا . لقد انقضت فترة طويلة منذ وفاتها . انه يذكر كل شيء عنها ، وإن كان لا يستطيع أن يتمثـــل صورة وجهها بكل دقة .

وأثار ذلك حنقه وتوقف عن مواصلة سيره ، بيـــنما كان على وشك عبور الطريق الخالي من الحركة اللهم إلا من سيارة قديمة من طراز ديملر كانت تتحرك على مهل .

وعجب من أمر نفسه ، ومن شرود ذهنه ، ومن هـــذا التوقف عن السير بدون سبب او داع . وخطا ليعبر الطريق ، فما كان من السيارة الديملر إلا أن اندفعت بسرعة فائقة في اتجاهه كحيوان مفترس يبغي الانقضاض عليـــه ، وبفضل سرعة حركته كرياضي قديم تمكن من القفز إلى الافريز المقابل ، حيث وقف يتطلع اليها في دهشة المفاجأة وهي تختفي عن ناظريه

بينما كان الكولونيل بايكواي جالساً في غرفة مكتبه ببلومزبري ، تحيط به سحب الدخان المتصاعد من سيجاره الضخم. اتصل به تليفونياً سكرتاريته ليعلن اليه ان الوزير السير جورج باكهام قد قدم لزيارته .

وأقبل السير جورج باكهام على الكولونيل بايكواي قائلاً :

– إننا لم نلتق منذ فترة طويلة فيما أعتقد .

– تفضل بالجلوس واليك بسيجار .

– كلا . . شكراً ليست بي رغبة الآن . . اعتقـــد ان هورشام كان في زيارتك .

– نعم . . وأحاطني خبراً بما لديه .

– لقد رأيت أن هذا أفضل ، اي ان يأتي لزيارتك . إن مثل هذه الأمور

يجب أن تعالج في إطار من الكتمان
- هذا ما لن يكون
- عفواً ؟
- أقصد اننا مهما توخينا الحذر ، فإن كل شيء سوف يعرف ويذاع
- ترى ما هي المعلومات التي توصلتم اليها عن هذا الموضوع ؟
- كل شيء .. اليس هذا هو عملنا ؟
. يا له من حادث يدعو الدهشة ويثير التساؤل ! هل لك معرفة شخصية بسير ستافورد تاي ؟
وبدأ الكولونيل بايكواي يضيق ذرعاً بهذا الحديث ، لأن له رأياً خاصاً في أسلوب تفكير زائره ..
انه رجل حذر ، يمعن الفكر ويبالغ في التصور ، وإن كان ليس بالرجل المتألق الذكاء !
. ثم سمع الوزير يقول :
- انا لاانسى ما كان منامر
فابتسم الكولونيل وراح يعدد اسماء بعض من خيبوا الظن فيهم، وأردف السير جورج في أسى :
- وهكذا ، لم تصبح الثقة المطلقة في الآخرين ممكنة ..
اليك مثلاً ستافورد تاي ، انه من أسرة عريقة أباً عن جد .
فعقب الكولونيل بايكواي يقول ، وهو يكاد أن يكون مغمض العينين :
- غالباً هكذا ، ذرية خاطئة في الجيل الثالث .
- كما انني أرى فيه رجلاً أبعد ما يكون عن مواطن الجد ، نزاعـــاً إلى الدعابة والهذر .
- نعم ، إنه مغرم بالعبث بمشاعر الناس ومباغتتهم بما لا يتوقعون ، لأنه يستمرىء متابعة رد الفعل في أنفسهم .

- وهل في هذا التفسير رد مقنع ؟
- ولم لا ؟ إنها هواية مثل الهوايات الأخرى .
- لست استبعد ذلك ، ولو كنت في مكانك لما تركت القلق يستبد بي .

* * *

نحى السير ستافورد تاي قدح القهوة جانباً ، ثم التقط صحيفتـه اليومية يتصفحها ، مولياً عمود الاعلانات الشخصية اهتماماً خاصاً ، كما فعل طوال الايام السبعة الماضية

وأخيراً استقرت عيناه على الكلمات التالية :

« مسافر من فرانكفورت ، الخميس ١١ نوفمبر ، جسر هنجرفورد الساعة ٧,٢٠ » .

وأعاد السير ستافورد قراءة الاعلان (الخميس ١١ نوفمـبر انه اليوم) ، واضطجع الرجل في مقعده وراح يرتشف مزيداً من القهوة ، لقد أحيى الاعلان في نفسه موات الآمال .

ونهض إلى المطبخ ، حيث الفى مسز ووريت مكبة على عملها . فتطلعت اليه دهشة وهي تقول :

- سيدي .. هل من خدمة أؤديها ؟
- أجل ، اذا ذكر امامك اسم جسر هنجرفورد ، فإلى اين تذهبين ؟
- انني اتجه رأساً اليه بدون شك . انه بالقرب من تشيرنج كروس هناك عبر التيمس .
- عرفت أين يقع . شكراً مسز ووريت .

* * *

كان مساء ممطراً . عاصف الريح . وخب السير ستافورد تاي في السير وقد رفع طوق معطفه الواقي من الأمطار .

ولم تكن هذه أول مرة يمشي فيها عبر جسر هنجرفورد .

وإن كان . . لم يخطر بباله من قبل ، انه سيتجه اليه في مثل هذه الظروف

وكان الجسر مزدحماً بمسرعي الخطى إلى منازلهم ، حيث يلوذون بها من أمطار هذه الليلة ورياحها .

ودار بخلد السير ستافورد تاي ، انه سيكون من العسير التعرف على أحد في زحمة هذه الجماهير .

إن الساعة ٧,٢٠ ليست باللحظة المناسبة لتحديد موعد ما فوق هذا الجسر المزدحم .

وواصل سيره قدماً ، حريصاً على الاحتفاظ بمسافة بينه وبين من يتقدمه ومن يتعقبه . .

ولكي يتيح الفرصة لمن يريد التعرف عليه .

أتراه أخيراً قد وقع فريسة لدعابة الغير بعد ان كان صاحب القدح المعلى في هذا المضمار ؟

وبينما كان هذا الخاطر يدور بخلده وقع بصره على إمرأة ترتدي معطفاً واقياً من المطر . تمشي على هون في الاتجاه المضاد . وبعد أن اصطدمت به ، سقطت فوق ركبتيها .

فأعانها على النهوض قائلاً :

– كل شيء على ما يرام ؟

. اجل ، وشكراً

ومضت في طريقها مسرعة ، بعد ان وضعت في يده شيئاً .

وحرصت على ان تطبق اصابعه عليه ثم اختفت بين صفوف المارة بعكس

اتجاهه . ورأى السير ستافورد ناي ان يمضي في طريقه هو الآخر ، فهـذا افضل لهما .. وظل يجد في سيره الى ان بلغ الجانب الآخر من النهر .

وبعد بضع دقائق ، كان يجلس في مقهى صغير ليحتسي قدحاً من القهوة وليتيح لنفسه فرصة التأمل ما في يده .

ووجد انه مظروف رقيق من النايلون ، بداخله مظروف آخر من الورق الابيض . وحينها فض المظروف الثاني .. تولته الدهشة إذ وجد به تذكرة دعوة لحضور المهرجان الموسيقي ، الذي سيقام بقاعة البلدية في مساء اليوم التالي .

- ٥ -

إستقر السير ستافورد ناي في مقعده ، وراح ينصت إلى مقدمة البرنامج الموسيقي .

وعلى الرغم من انه كان يستمتع بموسيقى فاجنر ، إلا انه كان يؤثر من بينها أوبرا سيجفريد – رينجولد وجوتر دافيرنج .

وكان يتلفت فيما حوله من لحظة لأخرى ، بعد أن حرص على احتلال مقعده مبكراً .

وكانت القاعة كاملة العدد كما هي العادة . وفي فترة الاستراحة ، نهض السير ستافورد ليلقي نظرة على ما حوله وكان المقعد المجاور له خالياً لم يشغله أحد بمعنى ان شاغله لم يحضر .

وغادر القاعة ليحتسي قدحاً من القهوة ، ويدخن لفافة تبغ ثم يعود أدراجه عند سماع جرس التنبيه . وما ان اقترب من مقعده ، حتى رأى ان المقعد المجاور له قد احتله صاحبه .

واستقر في مقعده ، ثم القى بنظرة عابرة جانبية ، وتحقق من ان الجالسة بقربه هي فتاة استراحة مطار فرانكفورت .

ولم تلتفت اليه ، بل حرصت على ان تولي وجهها شطر المسرح ، ولم يبد عليها ما ينم عن تعرفها عليه

وأدرك من ذلك الخطة التي يجب ان تتبع في هذا اللقاء . وبعد ان اطفئت الأضواء استدارت اليه جارته قائلة :

– معذرة ، هل تسمح لي بالاطلاع على برنامج الحفل ؟ يبدو اني فقدت برنامجي حينما كنت في طريقي الى مقعدي .

– بكل سرور .

ومد يده اليها بالبرنامج الذي تسلمته منه ، ثم راحت تراجع بنوده . وبدأت الموسيقى بافتتاحية لوهنجرين وبعد انتهاء العزف ، أعادت اليه البرنامج شاكرة .

وتناول البرنامج ليتعرف على اسم المقطوعة التالية .

وحينئذ أبصر بسطر مدون بقلم الرصاص في ذيل الصحيفة ولم يحاول ان يقرأ ما هو مدون ، في تلك اللحظة بالذات حين خفتت الأضواء . فطوى البرنامج وأمسك به بين يديه .

وتبادر إلى ذهنه ان هذا البرنامج هو برنامجها الذي ادعت بأنه فقد منها ، لأنه لم يكن لديها فرصة لتدوين شيء ببرنامجه .

إن الملحوظة كانت معدة له ، الأمر الذي يدعوه لاتخاذ الحيطة في كل ما يصدر عنه .

إن كل ما يحيط بهذه المرأة يعد لغزاً من الألغاز .

ولم يستبعد ان يكون بالقاعة ثمة من يراقب حركاتها او حركاته . حسبه الآن انها استجابت لندائه بالصحف ، وانه تأكد من وجودها بلندن ، وليس عليه الآن سوى ان يصبر ويترقب ، وان يدع لها ما تشاء من خطوات ، وان يصدع بما تأمر كما فعل بالمطار .

إن في هذا كله ما يجعل الحياة مشوقة مثيرة وليست كهذه الحياة المملة التي يقضيها في حضور المؤتمرات .

وبمجرد انتهاء الفرقة الموسيقية من عزفها ، بدأت تحدثه دون أن تلتفت

اليه ، أو يبدو عليها انها تتحدث اليه . كانت تتحدث بصوت عادي أبعد ما يكون عن الخفوت .

وانتهى البرنامج الموسيقي ، ودوت القاعة بالتصفيق ، وبدأ الحضور في الانصراف وتلكأ لعله ان يرى منها توجيهاً ما ولكن لم يبدر منها شيء من هذا القبيل وما كان منها إلا ان نهضت عن مقعدها واسرعت الخطى مختفية مع صفوف المنصرفين

وركب السير ستافورد سيارته عائداً إلى منزله ، وتناول البرنامج أثر وصوله وأخذ يمعن النظر فيه ، لعله أن يتبين شيئاً ، مما كتب به . غير أنه لم يجد به الرسالة التي كان يمني نفســـه بها . إذ لم يكن مسطوراً بالبرنامج كلمات معينة يفهم منها شيء — اللهم إلا من بضع علامات موسيقية بالقلم الرصاص .

وفي حركة يائسة اعاد البرنامج إلى المنضدة بجواره .

وبدأ يضيق ذرعاً بهذا الغموض الذي يكتنفه الغموض من كل ناحيـة ، وبخيبة الأمل كلما خيل اليه انه يقترب من إماطة اللثام عن سر هذه المرأة الغامضة . وعادت لمحات الأمل تتسلل إلى ظلمة ذهنه ، حينما دار بخـلده هذ التساؤل :

« لماذا استجابت لندائه بالصحف ؟ وفيم كان هذا اللقاء عند الجسر ، وفي الحفل ؟ إن في ذلك كله ما يدل على انها لن تدعه يتخبط في ظلام الشك والحيرة » .

وعاد يلتقط البرنامج ، ثم نهض الى النافذة يطل منها . وبعد قليل ، القى نظرة على البرنامج ،وحاول ان يترنم بالنوتة الموسيقية المدونة بقلم الرصاص وبدا له ان اللحن مألوف لديه . فأعاد الترنيم بصوت أعلى .

وازداد اقتناعاً بأن اللحن ليس جديداً عليه .

وابتعد عن النافذة ، وجلس مسترخياً في مقعده ، يقلب الأمر على كل

ناحية . ورأى ، فيما رأى ، انه قد يكون من الخير له ان يغادر لندن ويسافر لزيارة العمة ماتيلدا التي تقيم بشقة فسيحة في جناح قصر قديم بالريف ورثته عن جده .

كما انه يشعر ، بين حين وآخر ، بالحنين إلى هذا البيت الذي كان يقضي فيه أيام العطلة المدرسيـــة وهو صبي ، حيث كان يطيب له ان يتأمل صور أسلافه كبار شخصيات الأسرة ، مستعيداً في حياتـه ما كان يسمعه عن أمجادهم ونوادرهم.

ترى ، لماذا عـادت اليه هذه الذكرى ؟ لعلهـا تلك الرغبة الـكامنـة في القـاء نظرة على صـورة شقيقته باميـلا ، التي التقطت لها منـذ عشرين عاماً

انه يريد ان يطيل النظر فيها ويتأملها عن كثب ، ليتبين هذا الشبه بينها وبين تلك الغريبة التي اقتحمت عليه حياته وعكرت صفوها .

ومد يده يمسك ببرنامج الحفل ثانية وهو غاضب محنق، وراح يترنم بمضمون النوتة الموسيقية المدونة بقلم الرصاص :

« تم تم ، تي تم » .

ثم أدرك لتوه ماذا تعني ، وما هو كنهها بأكثر من حديث عام عن الموسيقى موضوع الحفل ، وكذلك الليلة الماضية ، الذي لم يكن موجهـــاً اليه في الظاهر .. تلك هي الرسالة التي لم تكن لتعني أحد سواه ، إذ لم تكن . كان شأن المذكرة التي دونت له بأحرف موسيقية لا يمكن ان يفهم منها أحد شيئاً سواه .

سيجفريد الشاب ، لا بد وان لهاتين الكلمتين معنى خاصاً ، ليس عليه الا التريث لعله يهتدي لما يمكن ان يكون (سيجفريد الشاب) ماذا تعني هذه الملحمة بحق السماء ؟ لماذا وكيف ومتى وأين ؟ يا لسخرية القدر ! ان يصبح ستافوره ناي فريسة لأحابيل غيره .

واتصل تليفونياً بالعمة ماتيلدا . وسمعها ترحب به قائلة :

- لسوف يسعدنا مجيئك .. دونك قطار الرابعة والنصف ، وسيكون هوراس في انتظارك اتفقنا .

- ألا يزال بخدمتكم .

- بكل تأكيد .

بدأ هوراس حياته في خدمتهم صبياً ، ثم حوذياً ، ثم سائقاً ، ثم ها هو لم يزل في خدمتهم وقد جاوز الثمانين .

وابتسم السير ستافورد راضياً هادىء النفس .

- ٦ -

قالت العمة ماتيلدا وهي تصعده بنظراتها :

– لقد ازددت وسامة بتلك السمرة التي اكتسبتها في الملايو . الم تكن في الملايو ؟ أم كان المؤتمر في سيام أو تايلاند ؟ إنهم يغيرون أسماء الدول في هذه الأيام بحيث أصبح من العسير التمييز بينها واستيعابها . مهما يكن من أمر فإن المؤتمر لم يكن في فيتنام اليس كذلك ، وقد اصبحت أضيق ذرعاً بسماع هذه الأسماء المتداخلة المشوشة ، فهذه فيتنام الشمالية وتلك فيتنام الجنوبية وهؤلاء الفييت كونج وآخرون الفييت لاو ؛ الى آخر هذه الأسماء التي لم نكن نسمع بها قبلاً وفي رأيي انه لو قدر لكل شعب ان يترك على سجيته لارتاح العالم من هذا العناء .

– اني معجب بآرائك دائماً . كيف حالك يا عمتي العزيزة ؟

وأودع السير ستافورد ناي وجنة عمته المتغضنة الشاحبة المعطرة ؛ قبلة التحية والاحترام .

وقالت له الليدي ماتيلدا كليكهيتون ؛

– قد تقدم بي العمر يا بني انك لم تعرف بعد ماذا يعني هـذا إنهـا الأمراض تتوالى وثمة دائماً ما تشكو منه ؛ والآن فلتصارحني بالسر في هذه الزيارة الفجائية .

وبغت السير ستافورد بهذه الصراحة غير المتوقعة وارتج عليه القول قبل ان يجيب :

– كيف ؟ اونسيت انه من عادتي ان أقوم بزيارتك اثر عودتي من رحلاتي في الخارج ؟

هلا اقتربت بمقعدك قليلاً ؟ ان حاسة سمعي تزداد ضعفاً منذ ان زرتني أخيراً . انك على غير ما الفت ان أراك فلماذا؟

– لأني عائد من بلاد حارة .

– هراء ! لا تراوغني ! لا أعني هذه الناحية أهو الحب اخيراً ؟

– الحب ؟

– كنت أشعر بأنه سيأتي يوم يدهمك فيه هذا الحب .. كسائر الرجال

– هلا حدثتني بما يدعوك إلى هذا الظن ؟

– ما طرأ عليك من تغيير . ثم هلا حدثتني انت عما يتناقلـه الناس عن نزعتك الجونية التي تقف حجر عثرة في سبيل مستقبلك ؟ إن السلك السياسي لا يحب من رجاله مثل هذه النزوات .

وابتسم السير ستافورد ولم يجب بشيء بل راح يجول بعينيه في الغرفة . فقالت له الليدي ماتيلدا :

– عم تبحث ؟

– عن صورك .

– لعلك لا تريد مني بيعها ان كثيرين قد شرعوا في ذلك .

– كلا ليس هذا ما أبغي اني مغرم بصورك شديد التعلق بها .

– إنها سجل له قيمته للسلف وأمجاده ترى أية صورة تريد ؟ صورة باميلا ؟

– نعم .. ولقد جالت صورتها في خاطري بالأمس الى الدهشة . فقد

ورثتما هذا الوجه عن اليكسا .

– ومن عساها ان تكون ؟

– جدتك الثانية ، وربما الثالثة ، تسلسلا .. إنها مجرية .. كانت بارونة او كونتيسة او شيئاً من هذا القبيل .. وحدث ان أحبها جدك الثالث حينما كان سفيراً بفيينا .

– وهل توجد لأليكسا صورة بين مجموعة الأسرة كغيرها ؟

– نعم يمكن ان تجد صورتها بالطابق الأول أعلى الدرج يميناً .

– يجب ان القي نظرة عليها قبل ان آوي الى فراشي .

– ولماذا لا تفعل الآن ؟ ثم تعود وتحدثني عما شاهدت .

ونهض مبتسماً وهو يغادر الغرفة ، إلى حيث ارتقى الدرج ، ووقف يتأمل الصورة .

وجد ان هذا الوجه هو الذي وقع نظره عليه وانطبعت صورته في ذهنه لا لما بينه وبين باميلا من شبه ، وهو شيء مسلم به وإنما لما بينه وبين هذه صورة من تماثل صارخ .

إذن فهذه هي صورة تلك الفتاة الجميلة الأنيقة التي أحضرها معه جده السفير إلى الوطن .

وتساءل عما إذا كانت ثمة قربى بينه وبين فتاة المطار بوصفها إحدى حفيدات هذه السيدة العظيمة ؟

وبادرته ليدي ماتيلدا بسؤالها بعد ان عاد أدراجه إلى قاعة الجلوس :

– هل عثرت بالصورة ؟ وجه جذاب لا تمل النظر اليه ؟

– نعم وجه جميل صبوح ..

– ولكنك لم يسبق لك السفر إلى المجر او النمسا ، اليس كذلك ، وما اظن انك التقيت بمن تشبهها في ماليزيا ؟ وقد كانت جدتك الكبرى من طراز فريد . كانت حسنة الخلق مهذبة ، ولكنها كانت بالطائر البري ،

نفور جسور .

– وأنى لك كل هذه المعلومات عنها ؟

– في الواقع إني لم أكن معاصرة لها ، لأني ولدت بعد وفاتها بعدة أعوام ، غير اني كنت أحب ان أسمع لما يروى عنها ، وعن إقدامها وحبها للمغامرة .

– وماذا كان موقف جدي الأكبر من كل هذا ؟

- موقف من استبد به القلق حتى الموت .. لقد كان مخلصاً لها ، وكان عصرهما عصر تزمت وقيود مبالغ فيها . عصر التقاليد الصماء . ومهما يكن من أمر ، فإنه خير من عصرنا هذا ، بانحلاله الخلقي ، وخنافسه المدللين ، وفتياته اللاتي يذبن حباً عند سماعهن الجيتار .. إن هذا الطراز من الشباب من الجنسين ، لست أدري كيف يمكن ان يصبح رجالاً ونساء قادراً على مواجهة الحياة بمسؤولياتها وتبعاتها وأعبائها ولنعد الآن إلى الحديث عنك والمغامرة الجديدة .

– ما الذي يدعوك الى مثل هذا الفكر بحق السماء ؟

– لأن هذا ما تنم عنه أساريرك وان كنت تنكر ذلك .

– قلت لك انه لا يوجد ما أحدثك به .

– لقد كنت أعرف عنك دائما أنك كذاب أشر ، حسنـــا على رسلك . جيء بها يوماً لزيارتي . هذا كل ما أبغي ، قبل ان يجهز علي الأطباء بالمضادات الحيوية . ترى أين كان اللقـــاء بينكما ؟ في ماليزيا على طاولة المؤتمر ؟ أم هي ابنة السفير أو الوزير ؟ أم تراك التقيت بها في الطائرة ، أثناء عودتك .

فلم يجد السير ستافورد بداً أن يقول :

– بدأت تقتربين من الحقيقة .

– إذن فهي إحدى المضيفات ؟

- كلا ..

- إذن ، إحفظ سرك ، إني بالغة ما أريد ذات يوم . هذا شأني معك دائماً ان اليأس لا يعرف طريقه إلى قلبي .

وانتقل الحديث بهما إلى ما يجري في العالم من قلاقل وفتن ، والى استغلال بعض الجهات لعنصر الشباب والتغرير بهم . وأخيراً قالت العمة بعد ان توقفت قليلاً عن الكلام :

- ان التاريخ يعيد نفسه بطغاته وأحداثه وفكره وأساليبه وبأبطاله ومثله العليا وبأحلام البعض تتوالى وتتكرر مع تغيير اللفظ والمبدأ . فهذا هـو شأن نظرية (سيجفريد الشاب) .

- ٧ -

نظرت اليه العمة ماتيلدا ، بعينيها الحادتين ، اللتين تتألقان ذكاء ، وقالت ·

– يخيل إلي انك لم تسمع بهذا الاصطلاح قبلاً ، اليس كذلك ؟

– وماذا يعني ؟

فرفعت حاجبيها دهشة وهي تسأل :

– أولا تعرف ؟

– اقسم بما تشائين ، اني أجهل معناه .

– ولكنك سمعت الاصطلاح قبلاً ؟

– نعم سمعته من شخص ما .

– أحد ذوي الشخصيات الهامة ؟

- ربما ، ماذا تراك تعنين « بذي الشخصية الهامة » ؟

– لقد قدر لك ان تشترك في عدة مؤتمرات ، ممثلاً بلادك بين كبار القوم الموفدين للبلاد الأخرى ، ويمكنك ان تقدر بتجاربك الخاصة من عساه أن يكون ذا الشخصية الهامة

إني لا زلت على صلة ببعض الأصدقاء القدامى ، الذين يحاطون علماً بما يجري هنا وهناك ، وهم لا يزالون ، على رغم تقدمهم في العمر ، متوقدي

الذكاء ، صحيحي الحكم على الأشياء وتجدني التقط منهم مختلف الأنباء بين الحين والآخر .

ومن هذه الأنباء ذلك القنوط والخوف السائد بين ربوع العالم . إن العالم قلق غير مستقر ، بعد ان تغيرت فيه أوضاع كثيرة وطفت على السطح إنحرافات أكثر ، وأصبحنا في وقت ، لا يمكنك أن تثق فيه بأحد .

-حسناً وبماذا تشيرين علي ؟

- أتسألني المشورة حقاً ؟ وأنت تعلم كم أصبح عمري ؟

- نعم أسألك هذا صادقاً .

- إننا نريد ان نتوصل الى منفذ يهدينا الى ما تعنيه هذه الكلمة المتداولة أخيراً . ألا وهي (سيجفريد الشاب) ولا أدري ما اذا كانت ترمز لشخص او لجماعة او لجواز مرور . غير انه لا بد ان يكون الاصطلاح رمزاً لشيء وهناك ما يجب ان نضعه في اعتبارنا ايضاً من هذه المعاني ؛ ألا وهو الخط الموسيقي لقد كدت أنسى أيام فاجنر . .

ان في موسيقى فاجنر ما يسمى نداء نفير سيجرفيد . لم لا تقتني جهاز تسجيل ؟

- جهاز تسجيل ؟

- نعم وتعلم كيف تؤدي نداء نفير سيجفريد وتسجله عليه . ان لك تذوقاً موسيقياً وفي وسعك ان تقوم بذلك وربما استطعت ان تستفيد به في الوقت المناسب للتأثير في القوم الخاطئين .

- ان لك آراءك القيمة دون شك يا عمتاه .

- ان طول العمر يبلغ بك هذه المرتبة . ان التقدم في العمر لا يتيح لك أن تذهب هنا وهناك . ان كل ما في وسعك أن تفعله هو ان تجلس في مقعدك وتمعن التفكير أرجو ان تذكر قولي هذا بعد أربعين سنة .

- لقد أثرت انتباهي بتنويه واحد .

- واحد فقط ؟ واحد فقط بين كل ما تحدثت به اليك ؟ ترى ما عساه أن يكون ؟

- ما قلته أنه قد يتسنى لي التأثير في القوم الخاطئين بجهاز تسجيلي ؛ هل هذا ما كنت تعنينه فعلاً ؟

- نعم لأن القوم الذين على صواب لا يعنينا أمرهم في كثير او قليل ؛ أما القوم الخاطئون فشيء آخر .. انك مع هؤلاء يجب ان تنفذ الى الأشياء وتتطرق اليها . يجب ان يبذل الانسان اقصى ما في وسعه ولا يبخل بشيء في سبيل بلوغ الأرب .

- لكم يسعدني ان أستمع اليك وإلى أحاديثك الشجية . سأغادر هذا القصر حاملاً معي ذخيرة من القول السديد الذي لا ينسى . وأعتقد أن لديك الكثير مما كان يجب ان تفضي به إلي ؛ ولكنك رأيت ان تحتفظي به في جعبتك .

- انني أترقب اللحظة المناسبة .. ولنثق بأني أولي شؤونك ما هي جديرة به من اهتمامي ..

وأحطني علماً بأحوالك بين الحين والآخر ..

ثم انك مدعو للعشاء بالسفارة الأمريكية في الأسبوع القادم ؛ اليس كذلك ؟

- اين لك بهذه المعلومات .. اني مدعو فعلاً .

- وقد قبلت الدعوة ؟

- بحكم وظيفتي .. عجباً .. انك تعرفين الكثير .

- الفضل في ذلك لميللي .

- ميللي ؟

ميلي جين كورتمان زوجة السفير الأمريكي .. انها شخصية جذابة حسنة المظهر أنيقة .

- تعنين ملدريد كورتمان ؟

- نعم ! وهي تفضل ان تدعى ميلي جين بدلاً من ملدريد . وقد كنت أتحدث اليها تليفونيا بشأن بعض حفلات البر .. ونحن نطلق عليها اسم فينوس الجيب لصغر حجمها .

- يا له من اسم مناسب جذاب !!

- ٨ -

بينما كانت مسز كورتمان مقبلة عليه مرحبة به .. استعاد السير ستافورد ناي في ذهنه الاسم الذي تطلقه عمته عليها

كانت ميللي جين كورتمان بين الخامسة والثلاثين والأربعين من سني حياتها دقيقة الملامح ، زرقاء العينين ، يتوج رأسها شعر يتسق مع لون عينيها وصفاء بشرتها .

وكانت من الشخصيات المحبوبة في لندن .

أما زوجها سام كورتمان فكان عملاقاً ، عريض المنكبين ، أقرب إلى البدانة ..

وكان فخوراً بزوجته !

وحيت المضيفة السير ستافورد ناي قائلة :

– لقد عدت من الملايو ، اليس كذلك ؟ أرجو أن تكون قد استمتعت برحلتك ، وإن كان الطقس غير ملائم في مثل هذا الفصل من السنة .. إننا جد مسرورون بعودتك .. إنك تعرف ليدي الدبورو والسير جون ، وهرفون روكين ، وفراو فون روكين ، ومستر ومسز ستاجنهام .

وكان ستافورد ناي يعرفهم جميعاً ، وكان هنالك سيد هولندي وزوجته

لم يسبق له أن التقى بها من قبل ، لأن الزوج كان حديث العهد بمنصبه في لندن ..

أما ستاجنهام فكان وزير الشؤون الاجتماعية .. وهو شخصياً لا يتميز بشيء .

واستطردت المضيفة

– وهذه هي الكونتيس ريناتا زركوفسكي ، وأعتقد انها قالت انكما سبق أن التقيتما من قبل .

فقالت الكونتيس :

– لعل هذا اللقاء ، كان منذ عام مضى ، حينما كنت في انجلترا أخيراً ..

ها هي ثانية المسافرة من فرانكفورت . الواثقة من نفسها ، الهادئة الأعصاب ، الأنيقة الهندام .

وكان شعرها معقوصاً إلى أعلى .. وقد زينت صدرها بحلية من الياقوت

وواصلت المضيفة عملية التعارف قالت :

– سنيور جاسبارو كونت ريتغر ، مستر ومسز أربوثنوت .

وكان عدد المدعوين حوالي الثلاثين ..

وكان مقعد ستافورد ناي ، ساعة العشاء ، بين المسز ستاجنهام وسنيورا جاسبارو

أما ريناتا زركوفسكي ، فقد كان مقعدها في مواجهته تماماً .

هذا هو عشاء السفارات الذي دعي اليه غير مرة ، وكان لا يتغير نهجاً أو أسلوباً ، إذ يجمع بين مختلف أعضاء السلك الدبلوماسي والوزراء ورجال الصناعة ، ونجوم المجتمع ممن يحلو للمرء أن يلتقي بهم ، اللهم فيما عدا واحداً او اثنين .

وعلى الرغم من أنه كان مستغرقاً في حديث شهي مع السنيورا جاسبارو إلا أن ذهنه كان منصرفاً عنها إلى حيث تتجه عيناه في لحات غير ملحوظة إلى ناحية أخرى .

وكان يتساءل فيما بينه وبين نفسه عن سبب دعوته إلى هذا الحفل ؟

وهل هي دعوة كسائر الدعوات ؟ أم كانت دعوته ، كما يحدث أحياناً ، لحفظ التوازن العددي بين الرجال والنساء ؟

أم تراها لسبب خاص معين ؟

أهي دعوة جاءت عفو الخاطر ..

أم دعوة أعد لها ؟

إلا الاجابة عن هذا كله عند السفير ، وعند زوجه .. أم لعلها عند زوجه فقط ؟

هل يمكن ألا يكون هذا الحفل أكثر من اجتماع في أمسية عادية ؟

وراح يجول بعينيه بين المدعوين الجالسين إلى المائدة ليتبين منهم المدعو الذي يوحي وجوده بما يساعده على وضع النقط فوق الحروف .

هل يمكن أن يكون أحد هؤلاء المدعوين من الشخصيات الهامة ؟

ألا يحتمل أن يكون أحدهم من رجال المخابرات الأمريكية ، أو غيرها ؟

إن هذا ليس بالأمر المستبعد في أيامنا هذه - إن ما يجري في هذا العالم لم يعد يجري على النهج المألوف .

فهناك أمور تجري على مسرح الأحداث علناً ، وأمور بالغة الأهمية - يجري من خلف الستار .

واستقرت عيناه لحظة على الجالسة في مواجهته ، وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة وادعة ..

والتقت منهما العينان

ولم تحدثه نظراتها وابتسامتها بشيء .

ترى ، ماذا جاء بها ؟

إذن فهي سيدة مجتمع ، وموضع تقدير من الجميع .

ولكنه يريد أن يعرف من هي حقاً .. وما هو وضعها بين أعضاء هذا المجتمع .

وكانت مخائل الذكاء تبدو في وجه هذه السيدة التي بادرته بالحديث في غير حرج في مطار فرانكفورت .

أكانت تلك المرأة بكل ما فيها من إقدام وجرأة هي الحقيقية ..

أم هذه التي تجلس قبالته كسيدة مجتمع في حفل عشاء دبلوماسي هي الحقيقية ؟

أي دور من الدورين تقوم بأدائه ؟

أم ترى لها أكثر من شخصيتين ؟ هـذا ما يريد أن يعرفه ويميط اللثام عنه .

وهل كانت هذه الدعوة حيث دعيت هي محض مصادفة ؟

وحينما كان يدور بخلده هذا السؤال نهضت ميللي جـين من مقعدها ، وحذت سائر السيدات حذوها

وفجأة ، دوى في الجو صخب وضجيج لم يكن متوقعاً ، مصحوباً بصراخ وصياح في الخارج .

وأعقب هذا صوت تحطيم زجاج وطلقات نارية ،وتعلقت سنيورا جاسبارو بذراع ستافورد قائلة .

– رباه ! ماذا يحدث ثانية ! إنهم هؤلاء الطلبة ، أنهم يقاومون رجـال الشرطة ويقاتلونهم ، ويأبون إلا أن يتظاهروا في الطرقات ويخلو بالأمن والنظام لدينا منهم الكثير في روما وفي ميلانو . ومثلهم كثير في كل مكان من اوروبا ماذا يريد هؤلاء الشبان الأغرار ؟

وتطرق الحديث بالرجال او قل بالبعض منهم إلى السياسة .

وكان ستافورد يبدو وكأنه يستمع إلى هذا وذاك ، وإن كان في الحقيقة منصرفاً عنهم بـذهنه إلى موضوع آخر .

وأخيراً نهض الرجال ليلحقوا بالسيدات في قاعة الاستقبال

واتخذ السير ستافور ناي له مقعداً إلى جانب سيدة ذهبية الشعر ، له بها معرفة عادية .

وكان يعلم عنها أنها ثرثارة في غير ما يضجر ويبعث في النفس الملـل عن أحاديث السياسة والاحداث العالمية . وانها تعرف الكثير عن رفيقـاتهـا وصديقاتها .

ولم يعمد ستارد ناي إلى توجيه أسئلة اليها عما يهدف إلى سماعه منها ، بل حول دفة الحديث بلباقة ، وبدون أن يشعرها بذلك ، الى مـا يبغي ، فسمعها تتحدث عن الكونتيس ريناتا زركوفسكي قائلة :

– انها لا زالت بهية الطلعة ، جميلة وضاءة المحيا ، انها لا تتواجد في لندن كثيراً ، انها تقضي اغلب ايامها في نيويورك ، او في تلك الجزيرة الرائعـة في البحر الأبيض المتوسط .

إن شقيقتها متزوجة من ملك الصابون السويدي الجنسية فيما اعتقد ، وهي فاحشة الثراء ، كما انها تقضي بعضاً من وقتها في تلك القلعة بالقرب من ميونيخ ، وهي ذواقة للموسيقى شغوفة بها ، لقد قالت أنها سبق أن التقت بك اليس كذلك ؟

فقال ستافورد :

– بلى منذ سنة او سنتين

– أعتقد أن هذا اللقاء قد تم حينما كانت في انجلترا من قبل ويقولون انه كان لها دور في أزمة تشيكوسلوفاكيا أو في اضطرابات بولنـدا ، لست أذكر على وجه التحديد .

وانخرطت في حديث طويل عن بعض الأحوال العالمية والشؤون الاقتصادية والقيود النقدية .

إلى أن قاربت السهرة نهايتها

ورأى ستافورد انه لم يحصل على الكثير من المعلومات عن زميلة السفر من فرانكفورت – اللهم إلا بالنسبة لكثرة أسفارها ووضعهـــا الاجتماعي والعائلي الذي يتيح لها الكثير من الاتصالات .

ودار بخلده للحظة خاطفة انها جاسوسة .

وقد بدا له أن هذا الخاطر هو الأقرب احتمالاً ، وهذا هو التفسـير المرجح ..

إلا أنه لم يكن يشعر في قرارة نفسه بأنه مقتنع به كل الاقتناع .

وقاربت السهرة نهايتها .. وجاء دوره أخيراً لتولية مضيفته بعض رعايتها .

وكانت ميللي جين خير من يتقن تحية ضيوفه .

قالت :

– كنت أتوق إلى فرصة لاتحدث اليك ، أريد أن أسمع الكثير عن الملايو إن اسماء هذه الدول الآسيوية المستحدثة تختلط علي ، حدثني بما جرى هناك ترى .. هل كان هناك ما يلفت النظر ويثير الانتباه .. أم لم يكن ثمة جديد ؟

تلك الزرقة الداكنة في عينيها – كان لها تأثيرها العميق فيمن تتحدث اليه ، تماماً كتأثير عيني القط الفارسي في أسيره .

وكان بوده لو تسنى له أن يسبر غور ميللي جين وينفذ إلى أعماقها ، إنها ليست بالمرأة العادية ، عقلية وتدبيراً ، وإرادة .

إن نظراتها اليه توحي بأنها تريد منه شيئاً .

* * *

كان ميدان جرسفينور هادئاً تماماً ، وكانت افاريزه تحمل بقايا الزجـاج المحطم ، والبيض والطماطم وغير ذلك من آثار مظاهرة الطلبة .

وتعاقبت السيارات إلى باب السفارة تنقل الضيوف المنصرفين وكان رجال الشرطة منتشرين في أنحاء الميدان استعداداً لما عساه أن يحدث .

وسمع السير ستافورد ناي ، صوتاً عميقاً ، موسيقيـاً .. يهمس في أذنه قائلاً :

- إنك لا تقيم بعيداً عن هنا ، اليس كذلك ؟ يمكنني أن اصطحبك معي في طريقي إلى حيث أقيم .

- كلا .. كلا .. إن المسافة لا تستغرق أكثر من عشرة دقائق سيراً على الأقدام .

فقالت له الكونتيس زوركوفسكي :

- أؤكد لك أنه سيكون من بواعث سروري أن أصطحبك معي اني أقيم في فندق سانت جيمس تاور .

فقال ستافورد :

- هذا كرم منك .

وركب السير ستافورد ناي السيارة الفاخرة مع الكونتيس رينـــاتا ، وكانت هي التي اعلمت السائق بعنوان السير ستافورد ناي ، ومضت السيارة في طريقها ..

وقال لها :

- وهكذا تعرفين أين أقيم؟

- ولم لا ؟

- بلى ، ولم لاحقاً .. انك تعرفين الكثير ، اليس كذلك ؟ لقد كان جميلاً منك ان تعيدي الي جوازي .

- لقد رأيت اني بهذا قد أجنبك بعض المضايقات والحيرة والقلق ..

وقد يكون من الأوفق أن تحرقه .. إذ المفروض انهم زودوك بجواز سفر آخر ..

– تماماً، يا سيدتي ..

– وستجد معطفك الفضفاض في قاع درج دولابك ، لقد أودع هناك الليلة . ولقد رأيت أن أعيده اليك لأنه قد يتعذر عليك شراء غيره .

– إن هذا المعطف سيعني الكثير لدي ، بعد أن اقترن بهذه المغامرة ، أرجو أن يكون قد ادى الغرض المقصود ..

– أجل ، وعلى اتم وجه ، لأني ما زلت على قيد الحياة .

ولم يعقب السير ستافورد بشيء ، وكان يشعر في قرارة نفسه بأنها تريد منه أن يوجه اليها بعض الأسئلة وأن يلح في الاستفسار منها عن حقيقة امرها وعن المصير الذي نجت منه .

إنها تريد أن يكشف عن فضوله ، ولكنه عقد العزم في قرارة نفسه على ألا يكون ذلك الفضولي .

وسمعها تطلق ضحكة رقيقة قبل أن تقول له .

– هل استمتعت بأمسيتك ؟

– ان أمسيات ميلي جين دائماً جميلة .

– هل لك بها معرفة وثيقة ؟

– كنت أعرفها في نيويورك قبل أن تتزوج .. ويطلق عليها اسم فينوس الجيب .

– وهل هذا الاسم من ابتكارك ؟

– في الواقع لا ... لقد سمعته من إحدى قريباتي المتقدمات في السن ..

– انه وصف لا نسمع به في ايامنا هذه .. وانه لمنطبق عليها فعلاً ، ولكن فينوس فاتنة ، مغرية . أليست كذلك ؟ اتراها طموحة

أيضاً ؟

- هل ترين في ميللي جين كورتمان أنها طموحة ؟

- نعم .. إنها الصفة الغالبة عليها !

- وهل ترين ان كونها زوجة السفير الأمريكي لدى بلاط سان جيمس لا يرضي طموحها؟

- كلا بكل تأكيد ، إن ذلك مجرد بداية

ولم يعقب بشيء ، كان يتطلع إلى الطريق ، وكان يهم بأن يحدثها بشيء ، ولكنه توقف عن الكلام .

لقد تبين نظرتها الخاطفة اليه وهي ملتزمة جانب الصمت .

وظلا على هذه الحال إلى أن بلغت بهما السيارة أحد جسور نهر التيمس ، فبادرها بقوله :

- معنى هذا انك لست في طريقك إلى منزلي ، إلى أين ستذهبين بي ؟

فقالت الكونتيس :

- وهل لك اعتراض

- نعم ، فيما أظن .. ترى أهو اختطاف ؟ ولماذا ؟

- لأنني وكما كان الأمر من قبل بحاجة ماسة اليك ، كما ان ثمة آخرين بحاجة اليك أيضاً ، الا يطيب لك هذا ؟

- كان يسرني هذا لو مثلت المفتونة اختياراً

- وهل كنت توافق على أن تصحبني ؟

فقال ستافورد :

- قد أوافق وقد لا أوافق

- انني جد آسفة .

وران عليهما صمت مطبق ، بينما كانت السيارة تمضي بهما في أحد الطرق الرئيسية .

وأمعن ستافورد النظر ليتبين أي طريق يسلكون . إن السيارة تنحرف بهما أحياناً عن الطريق الرئيسي لتعود اليه .

وكاد ان يستفسر من رفيقته عما إذا كان هذا الانحراف خوفاً من أن يكون ثمة من يتعقبهما من لندن .

غير انه آثر أن يطبق شفتيه اتباعاً لما اختطه لنفسه من سياسة الصمت وأن يدع لها فرصة الكلام اذا شاءت .

وأخيراً بلغت بهما السيارة وجهتها ، واجتازت بهما الأبواب الى ممشى تحف به الأزهار القرمزية من الجانبين .

ثم توقفت بهما بعد أحد المنحنيات أمام بيت كبير .

فقال ستافورد :

– اعتقد ان هذه هي نهاية رحلتنا ؟

– لعل البيت لا يروق لك من الخارج .

– ولكنه يتطلب الكثير من المال للمحافظة عليه وليستكمل كل وسائل الراحة لمن يقيم به .

– فعلا ، انه بيت لا ينقصه شيء من وسائل الراحة ، وان كان لا يبدو جميلا من الخارج ، ان الرجل الذي يقيم به يفضل الراحة والدعة على الجمال .

– ربما كان مصيباً في ذلك . وان كنت أرى انه يقدر الجمال في نواح اخرى .

وغادر ستافورد السيارة ومد ذراعه ليمين الكونتيس لتلحق به ، وتقدمهما السائق ليعلن قدومهما .

ثم التفت الى السيدة متسائلا

– الن تكوني بحاجة الي الليلة ، يا سيدتي ؟

– كلا .. سأتصل بك تليفونياً في الصباح .

- طابت ليلتك يا سيدتي .

وسمع وقع خطوات في الداخل فتح بعدها الباب على مصراعيه ، وكان السير ستافورد يتوقع أن يكون القادم كبير الخدم .

غير انه رأى مشرفة قد وخط المشيب شعر رأسها ، منتصبة القامة قوية الشخصية ، من ذالك الطراز الذي يندر وجوده في أيامنا هذه . فقالت لها ريناتا :

- أخشى أن اكون قد تأخرت قليلاً .

- إن السيد في المكتبة ، وقد طلب ان تذهبا اليه بمجرد وصولكما .

- ٩ -

تقدمتهما المشرفة مرتقية الدرج العريض الى الطابق الأول،ورأى ستافورد ناي مما حوله انه في بيت رجل ثري . وخطت المرأة إلى أول الأبواب تفتحه وتتنحي جانباً لتفسح لهما طريق الدخــول ، دون ان تعلن عن اسميهما . وتبع السير ستافورد ناي الكونتس ، ثم سمع البــاب يوصد بهدوء ، من خلفه .

وكان بالغرفة أربعة رجال ، وقد جلس إلى مكتب كبير غطته الأوراق والمستندات وخريطة كبيرة او اثنتان ، رجل ضخم بدين شاحب اللون ، وكان الوجه مألوفاً لديه ، وإن لم يستطع ان يذكر اسم صاحبــه ، ولا أين التقى به .

ونهض الرجل ، الجالس الى المكتب ، ماداً يده إلى يد الكونتس ريناتا قائــلا .

- ها قد وصلت أخيراً رائع .

- دعني أقوم بواجب التعارف بينكما، وإن كنت أعتقد انك تعرفه السير ستافورد ناي ، مستر روبنسون .

وومض في ذهن ستافورد خاطر كالبرق .

بكل تأكيد ان هذا الاسم يقترن باسم آخر هو اسم بابكواي . ولكنه لا

يستطيع ان يزعم انه يعرف كل شيء عن مستر روبنسون . إنه لا يعرف عنه إلا ما أراد له مستر روبنسون ان يعرفه . وحتى الاسم روبنسون قد لا يكون هو الاسم الحقيقي، وهو يعرف عنه انه يمثل كلمة « المال » بأحلى معانيها وبكل نواحيه .. المال الدولي العالمي ، الوطني والمصرفي . إنه يمثل المال ، وان كان مظهره لا يوحي بأنه ثري بينما هو في الواقع رجل فاحش الثراء ، إنه يمثل قوة المال بكل مفهوم الكلمة .

وبادره مستر روبنسون قائلاً وهو يصافحه :

– سمعت عنك منذ يوم او يومين من صديقنا بايكواي .

وانجلى كل ما غمض في عقل ستافورد، لأنه استعاد الذكرى الفريدة التي تم فيها اللقاء بينه وبين المستر روبنسون بحضور الكولونيل بايكواي . وها هو الآن يلتقي أيضاً بماري آن او الكونتس زركوفسكي ؟ التي تحدث عنها وعن روبنسون مستر هورشام بحضور بايكواي وانتقل ستافورد بعينيه إلى الثلاثة الآخرين لعله يتعرف عليهم وعلى دورهم .

وما كان بحاجة للحدس او إعمال الفكر بالنسبة لاثنين منهم . فقد كان الرجل الجالس بجوار المدفأة والمتقدم في العمر معروفاً في جميع أنحاء انجلترا ، وان كان لا يراه الناس إلا نادراً إذ انه رجل عليل معتكف اضطره المرض لذلك . إنه اللورد التامونت .

ومد الرجل يده الى ستافورد ناي الذي اتجه اليه . وقال اللورد في صوت خافت :

– معذرة ، إذ اني لا أستطيع النهوض لمرضي .. انك عائد لفورك من الملايو اليس كذلك ؟

– بلى .

– اعتقد انك لم تجد في هذه الرحلة أي عناء . ومع ذلك فعلينا ان نشترك في مثل هذه المؤتمرات المظهرية يسرني أنهم أتوا بك الليلة الينا ! هذا من

فهل ماري آن فيما أعتقد ؟

إذن فهذا هو اسمها لديهم ، وهذا هو رأيهم فيها ، إنه الاسم الذي اشار به هورشام اليها . إنها ضالعة معهم إذن وليس من شك في ان التامونت يعمل في صالح انجلترا وانه سوف يظل يعمل لأجل انجلترا الى ان يدفن في مقابر وستمنستر .

إنه ملم بكل شيء عن انجلترا ورجـالاتها ، ويعرف كل شيء عن أعضاء الحكومة وان لم يلتق بهم .

وأردف لورد التامونت قائلاً :

– زميلك السير جيمس كليك .

ولم يكن لستافورد معرفة بكليك كما انه لا يعتقد انه سمع باسمه قبلاً . وقد رأى فيه رجلاً قلقاً ، لا يستقر له قرار ، حذر النظرات ، متوثبـــاً للانقضاض في انتظار كلمة سيده .

لكن من عساه ان يكون سيده ؟ التامونت ام روبنسون؟

وانتقل ستافورد بعينه إلى الرجل الرابع وكان قد نهض عن كرسيه الذي كان قرب الباب . وكان كث الشارب منطوياً على نفسه وان كانت في عينيــه نظرات من لا يغفل عن شيء .

وبادره السير ستافورد قائلاً :

– أهذا أنت يا هورشام كيف حالك ؟

– يسرني ان ألتقي هنا يا سير ستافورد .

وكانوا قد أعدّوا لريناتا مقعداً بقرب المدفأة واللورد التامونت ومدت إلى هذا الأخير يدها اليسرى .

فأخذها بين يديه وهو يربت عليها قائلاً :

– لقد خاطرت يا صغيرتي وانك لتخاطرين كثيراً .

وتطلعت اليه قائلة :

- إنك دربتني على هذا وهو السبيل الوحيد للحياة :

وخلى اللورد التامونت بينه وبين يدها قائلاً ، وهو يستدير برأسه إلى السير ستافورد ناي :

- لم أكن أنا الذي لقنك كيف تختارين رجلك . إن لك مواهبك الخاصة. إن لي معرفة بعمتك الكبرى يا سير ستـــافورد . إنها إحدى بقايا العصر الفيكتوري . لعلها قد بلغت التسعين من عمرها . إننا لا نلتقي كثيراً . مرة أو مرتين في العام تقريباً غير ان هذا اللقاء يسعدني دائماً كما تجدني معجباً بكل ما فيها من قوة عقلية وبدنية .

وانبرى السير جمس كليك قائلاً :

- ناي دعني أقدم لك شراباً ، ماذا تفضل ؟

- جين بالكينا اذا تكرمت .

وحمل جمس كليك الشراب الى ناي ووضعه فوق المنضدة بجوار مســـتر روبنسون ، ورأى ستافورد ناي ألا يبدأ الحديث . وتألقت عينا الجالس إلى المكتب وهو يقول :

- هل لديك اسئلة تريد توجيهها ؟

- الكثير . وإن كنت ارى ان نبدأ بالايضاحات ثم بالأسئلة .

- ليكن لك ما تريد .

- قد تعرضت لعملية خطف . وهي من الأساليب السائدة في أيامنا هذه . وإني أسأل لماذا ؟

- يعجبني اقتصادك في القول ، ان ما تراه هو اجتماع خاص ، لجنة تقصي حقائق في موضوع له اهمية عالمية عريضة .

- يبدو لي ان الأمر شيق .

- انه أكثر من شيق ، انه مؤثر وعاجل ، ان أربعة أنماط للحياة ممثلة بهذه الغرفة الليلة .

وأردف اللورد النامونت موضحاً :

– إننا نمثل نواح مختلفة . ورغم انني اعتزلت الحياة العامة في هذه البلاد الا انني لا زلت قوة استشارية لها قدرها . وقد سئلت الرأي وطلب الي أن أرأس هذه اللجنة الخاصة المنوط بها تقصي حقائق ما يجري في عالمنا هذا وجمس هو يدي اليمنى في هذا العمل البالغ الأهمية وهو المتحدث باسمنا . جمس عليك بايضاح كل شيء لستافورد ناي .

فاتكأ جمس بمرفقيه الى الأمام وقال :

– الملاحظ ان ثمة أحداثاً تجري في العالم ، والواجب يقضي ان نطيل النظر في الأسباب . ان الظاهر يختلف عن الباطن ، والمهم ان نكب على تمحيص هذه الأمـور ، فلكل ظاهرة عواقبها ، ولكل ظاهـرة من يسيطر عليها ويتحكم فيها .

وقياساً على ذلك يجب البحث عن اللذين يسيطرون على القوى الصاعدة في أوروبا وآسيا وافريقيا ثم في قارتي أميركا .

علينا ان نتحرى ونبحث حتى نهتدي الى الدوافع الخفية ان هناك عنصراً واحداً تنفجر منه هذه الدوافع وهو المال .

وأشار الى مستر روبنسون ثم تابع :

– والمستر روبنسون هو خير العارفين بشؤون المال .

وانبرى المستر روبنسون قائلاً :

– ان الأمر بمنتهى البساطة . فثمة حركات كبرى تعم العالم ، ولا بد ان تكون تستند الى المال وعلينا ان نهتدي الى مصدر هذه الأموال كما علينا ان نميط اللثام عن الاتجاهات العديدة . وهذه الاتجاهات تندرج تحت عنوان واحد ، ألا وهو التمرد والثورة ،بصورة او بأخرى ومن بلد الى آخر أتراني قد أوضحت ؟

ونظر روبنسون الى اللورد الذي قال :

– نعم .. لقد أحسنت .. انها حركات معدية تنتشر كالوباء ويضاعف من انتشارها هؤلاء الذين أوتوا القدرة على إثارة حماسة من يستمعون اليهم . وهذه القدرة لا تكمن في الكلمات المسموعة بقدر ما تكمن في الطاقة المغنطيسية لهؤلاء حركة وصوتاً وايماء .

وتحرك ناي في مقعده قائلا :

– أدرك ما تعني ، وما تقوله جدير بالتدبر .

– أرجو الا ترى فيه مبالغة .

– كلا لا أرى شيئاً من ذلك . ولم يعد يوجد في عالمنا هذا ما هو مبالغ فيه . وبهذه المناسبة هل لي في ان أوجه سؤالاً ؟ ماذا عسانا ان نفعل ازاء هذه الظواهر ؟

فانبرى اللورد مجيباً :

– اذا ساورك الشك فيما يجري من أمور فيجب في البدء البحث عن مصدر المال ، وعن مكان الرأس المدبر ، وهذا الذي نحاول عمله ، وهذا ما نريد منك أن تعيننا عليه .

ولم يحدث كثيراً ، فشعر السير ناي بأنه أسقط في يده ، فراح ينقل البصر من رجل الى آخر ، وتأمل كل واحد منهم قليلا . ثم ركزت عينـاه على تلك السيدة الجالسة في هدوء والتي اصطحبته الى هذه الغرفة الكونتس ريناتا زركوفسكي الشهيرة بماري آن ، ودافني تيودوفانوس سابقاً . ولم يحادثه وجهها بشيء ورأى انها تكاد تنكر وجوده .

واخيراً اتجه بنظره الى مستر هنري هورشام رجل الأمن . ودهش اذ الفاه يبتسم له .

وبادره ستافورد قائلا

– اسمعوا جيداً لما أقول : أين مكاني من كل هذا ؟ ماذا أعرف ؟ اصارحكم القول ، بأني لست من الرجال البارزين في مهنتي . ان رأي وزارة الخارجية

في شخصي رأي متواضع .

فقال اللورد :

- نعرف هذا .

وتبسم جس كليك معقباً :

- قد يكون في ذلك بعض الخير .

وانبرى المستر روبنسون قائلا

- هذه لجنة تقصي حقائق ولا يعنينا في كثير او قليل ما فعلت في الماضي او رأي الآخرين فيك ، لقد طلبنا اليك الانضمام الينا ، لأننا رأينا انك تكون خير عون لنا .

واستدار ناي صوب رجل الأمن قائلاً :

- وما رأيك يا هورشام ؟ اني لا أصدق انك توافق على ذلك .

فقال هنري هورشام :

- ولم لا ؟

- وعلى أي أساس اتخذتم هذا القرار ؟ وما هي الصفات التي رشحتني؟ اني لا أكاد أصدق نفسي .

فقال هورشام :

- لأنك لست من عبدة الأبطال ، ولا تعنيك تلك الهالات التي يحيط الناس بها أنفسهم او يضفيها عليهم الآخرون .

ودار بخلد ستافورد ان ما سمعه من تعليل يدعو للتساؤل : أوتكون صفته البارزة كرجل لا يحمل الأمور على محمل الجد ، هي التي رشحته لمثل هذا العمل الجاد العسير ؟ قال :

- أجد لزاماً علي ان أحذركم . إن ما يعيبني حقاً وما أساء إلي في حياتي والمعروف عني اني لست بالرجل الجاد الذي يصلح لعمل كهذا .

قال هورشام :

- صدق أو لا تصدق. إن ما يعيبك هو أحد الأسباب التي أيدت ترشيحك أليس كذلك يا سيدي اللورد ؟

فأردف اللورد قائلاً :

- إنها خدمة عامة ! دعني أحيطك علماً بأن أكبر عيوب ذوي المناصب العالية المبالغة في التظاهر بالصرامة والجد . وعلمنا بأنك لست من هذا الطراز هو الذي حدا بنا إلى اختيارك ، وهذا أيضاً رأي ماري آن فيك .

والتفت ستافورد اليهـا .. إذن ، فها هي تنادى بماري آن ، لم تعـد بالكونتس .

واتجه اليها فسألها :

- ما هي حقيقة أمرك ؟ أعني هل أنت كونتس حقاً ؟

- بكل تأكيد . لقد كان لأبي شأنه ، وكانت له قلعة في بافاريا انها لا زالت في موقعها. وفي عالمنا تتقدم الجميع الكونتس مهما كانت فقيرة على المليونير الأميركي الذي يملك ثروة خيالية في البنوك .

- وماذا عن دافن تيودوفانوس ؟

- إنه اسم ينتفع به في جوازات السفر ، فقد كانت والدتي يونانية ؟

- وماري آن ؟

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يراها فيها تبتسم وتطلعت إلى اللورد ثم إلى المستر روبنسـون ثم قالت :

- ربما كان هذا الاسم متفقاً مع حقيقـة أمري بأني أقـوم بكل شيء ، واذهب الى كل مكان ، وانتقل من هنا إلى هناك ، إلى آخر ما هو لهذا القبيل أتراني نطقت بالحق ايها العم نيد ؟

ونظرت الى اللورد فقال هذا :

- كل الحق ، يا صغيرتي . ماري آن ، لقد كنت دائماً وستظلين معنا .

فواصل ستافورد أسئلته لها :

- وهل كنت تحملين شيئاً بتلك الطائرة ؟ أعني تنقلين شيئاً هاماً من بلد إلى آخر ؟

- نعم ، وكان هذا واضحاً ، ولولا العون الذي قدمته لي ، لما كنت هنا الآن ؟

- ماذا كنت تحملين ؟ ام لعله ليس من حقي ان أسألك عن ذلك ؟ أم هناك ما ان أعرف كنهه أبداً ؟

- ثمة الكثير من هذا القبيل أما سؤالك الأخير ، فأعتقد اني سأجيب عنه إذا أذن لي بهذا .

وعادت تنظر الى اللورد ثانية :

فقال لها اللورد :

- إني أثق بحسن تقديرك للأمور فأشبعي فضوله

- لقد كنت أحمل معي ، شهادة ميلاد . ولن أصارحك بأكثر من هذا .

فدار ستافورد بعينيه بين الحاضرين قائلاً :

- فليكن . اني أنضم اليكم . ويسرني ان تجدوا في العضو الصالح . ما هي أولى خطوات العمل ؟

- سنغادر معاً هذا القصر غداً . وسنسافر إلى المانيا ، ولعلك علمت بخصوص المهرجان الموسيقي الذي يقام في بافاريا .

انه مهرجان استحدث منذ عامين فقط ، ويندرج تحت اسم المـاني يعني « جماعة المغردين الشبان » .

وهي جماعة تتلقى المعونات من عدة بلدان وتحظى بتأييد البعض كما تلاقي المعارضة الشديدة من آخرين .

- لقد سمعت بها ، وهل سنحضر المهرجان ؟

- نعم لدينا مقاعد محجوزة لحفلتين .

– وهل لهذه الحفلات ، أهمية خاصة ، بالنسبة لما نقوم به من تحريات ؟

- كلا ، انها يحسن ان نطلق عليه جواز مرور ، اننا نذهب الى هذه الحفلات كتمهيد لما بعدها من خطوات أخرى .

وتطلع الى الجالسين فسأل :

– هل من تعليمات اخرى ؟ هل من توجيهات ؟

فقال المستر روبنسون :

– ليس بهذا المفهوم . انك ذاهب في رحلة استطلاعية ، وسوف تعلم الكثير في كل خطوة تخطوها . انك مسافر بشخصك ، غير مزود بأكثر مما تعرف في الوقت الحاضر .

انك ذاهب كمحب الموسيقى ، وكدبلوماسي يرجو ان يزيل عن نفسه الملل هذا أفضل وأكثر أمناً . سوف تكون المسافر على غير هدى من بلد إلى آخر ومن مركز للقوى الى مركز غيره للقوى ، وسيكون في وسعك ان تجمع المعلومات كل ذو نفع وفاعلية .

وعليك ان تعنى بحركات الشباب ، فإن هناك تنظيمات قوية للشباب في كل مكان تحض على كراهية الحكومة . وعصيان الآباء والخروج على التقاليد الموروثة . والارتداد عن الدين والتسيب واعتناق شريعة العنف .. ليس للحصول على المال . وإنما حباً في العنف لذاته ..

كل هذه الظواهر تثير قلق المسؤولين في جميع الأقطار .. ومهمتك هي تعقبها والتعرف على كل ما يتصل بها : من وماذا ولماذا وأين ؟

تلك هي الأسئلة التي تتركز عليها مهمتك ، وهذا ما يجب ان تهتدي الى سره ، أنت وماري آن وليس هذا بالشيء اليسير الهين . وأوصيك بكتمان كل سر تميط اللثام عنه وتصل الى كنهه فإن نزعات البشر إظهار العلم ببواطن الأمور ، تأكيداً لأهمية شخصية المتحدث .

وأغمض المستر روبنسون عينيه ايذاناً بانتهاء اللقاء ، ونهضت الكونتس وحذا ستافورد حذوها .

وسمع روبنسون يقول له :

– أرجو ان تقضي ليلة وادعة وتستمتع بنوم هادىء وهذا البيت قد أعد بحيث تتوافر كل اسباب الراحة .

وتمتم ستافورد بأنه واثق من ذلك . وما ان أسند رأسه فيما بعد إلى مخدته حتى استسلم للنعاس .

- ١٠ -

غادرا مسرح مهرجان الموسيقى إلى نسيم الليل المنعش .

وكانت ريناتا ترتدي ثوب السهرة، من القطيفة السوداء .

كما كان ستافورد ناي مرتدياً حلة السهرة برباط عنقها الأبيض قال :

– يا له من حفل ممتاز ، لقد انفق في سبيله الكثير ، إن غالبية النظارة من الشباب وما أظن أن لهم قدرة على هذه النفقات .

قالت ريناتا :

– أعتقد ان هذه أمور يصير تدبيرها من الاعانات ؟

– نعم . .

واتجها صوب المطعم الكائن على سفح الجبل .

وقال ستافورد :

– أمامنا ساعة لتناول الطعام ، اليس كذلك ؟

فردت ريناتا :

– ساعة وربع على وجه التحديد

– إن معظم النظارة ، او كلهم من عشاق الموسيقى .

– معظمهم فعلاً إن لهذا اهميته !

– ماذا تعنين ؟

- أعني ان الحماسة الموسيقى يجب أن تكون أصيلة فيهم .

- لم أدرك ما تعنين على وجه التحديد ؟

- إن هؤلاء الذين يمارسون العنف وينظمون له يجب أن يحبوا العنف ، ويريدونه ويتحمسون له ، وانك لتجد في كل حركة من حركاتهم طابع الافتتان ، المتسم بالرغبة في الأذى والتدمير ، وهو نفس الوضع بالنسبة لموسيقي .. إذ يجب أن تتذوق الأذن ، كل دقيقة من الالحان وجمال الايقاع .. بمعنى أن كلا من الاحساسين يجب أن يكون متأصلاً في النفس .

- هل تعنين أن في وسعك الجمع بين العنف وحب الموسيقى ، أو حب الفن ؟

قالت ريناتا :

- نعم ، وإن لم يكن هذا من الأمور الهينة دائماً ، ثمة كثيرون في وسعهم هذا ، وليس من شك في أنه من الخير عدم الجمع بين الدورين .

فرد ستافورد :

- فعلاً ، وليحب عشاق الموسيقى موسيقاهم ، وليحب من يمارسون العنف عنفهم ، اليس هذا أفضل .

- اعتقد هذا .

- لقد استمتعت بهذين اليومين ، وإن كنت لم استمتع بكل ما اصغيت اليه من موسيقى ، لأن تذوقي للحديث منها ليس كاملاً والقد وجدت في الثياب ما يشد الانتباه .

- تعني ثياب الانتاج المسرحي ؟

- كلا .. كلا ! لقد كنت أتحدث عن ثياب النظارة .. عن تلك الثياب الحريرية المخملية ، وذلك الترف البادي في كل ما يتحلون به ، انه طابع القرن الثامن عشر - أو فلنقل طابع عصر اليزابيث ، وفان

دايلك !

– هذا حق

– انني لا أكاد أفهم ماذا يعني هذا كله ، انني لم أتعلم شيئاً ، كما انني لم أكتشف شيئاً !

قالت ريناتا :

– عليك أن تتذرع بالصبر انه عرض مسرحي فاخر ، يسانده ، ويطالب به الشباب ، ويموله !

– من يا ترى ؟

– هذا ما لم نعرفه ، فسوف تعرف كل شيء .

– يسرني انك واثقة من ذلك .

وبلغا بسيرهما المطعم حيث جلسا إلى إحدى موائده .

والتقى تاي باثنين من معارفه أبديا دهشتهما وسرورهما بهذا اللقاء ، وكان الذين تعرفوا على ريناتا أكثر عدداً وأوسع دائرة ، من النساء والرجال على حد سواء ، ومن مختلف الجنسيات – من الالمان والنمسويين والأمريكيين ، وكان حديث الجميع عن العرض الموسيقي .

وكانوا جميعاً في عجلة من أمرهم ، لقصر امد فترة الاستراحـة ، ولكي يعودوا إلى مقاعدهم في الوقت المناسب .

وبعد انتهاء العرضين الباقيين ، غادرا المسرح إلى حيث وجدا السيارة في انتظارهما لتقلهما إلى الفندق الصغير بالقرية ، وبعد ان القى تاي بتحية المساء إلى ريناتا ..

قالت في صوت خافت

– الساعة الرابعة صباحاً ، كن مستعداً .

وأسرعت إلى غرفتها ..

وأسرع بدوره إلى غرفته !

وفي تمام الساعة الرابعة إلا ثلاث دقائق من صباح اليوم التالي ، سمع طرقاً خفيفاً على باب غرفته .

ففتح الباب ليجدها أمامه قائلة :

-- السيارة في الانتظار ، هيا بنا .

* * *

تناولا طعام الغداء في حانة صغيرة ، وكان الطقس بديعاً ، ومنظر الجبال رائعـاً . .

وكان ناي لا يفتأ يتساءل فيما بينه وبين نفسه ، عما أتى به إلى هذا المكان وكانت رفيقته في السفر تزداد غموضاً ، لا تتحدث الا قليلاً ، ووجـد نفسه يتأمل وجهها خلسة ويتساءل :

ترى إلى أين تقوده ؟ وفيم كل هذا العناء ؟ وأخيراً قال وقد كادت الشمس أن تغرب :

– إلى أين نحن ذاهبان ؟

– قد لا تجد في مجرد الاجابة عن سؤالك ما يشبع فضولك .

وراح يتأملها وهو مستغرق في التفكير . .

وكانت ترتدي معطفاً من الصوف . وثوباً بسيطاً من ثياب السفر ، أجنبي الصنع .

فقال لها :

- ماري آن ؟

– كلا ، ليس بعد ، لا زلت الكونتيس زركوفسكي

– أتراك في موطنك الأصلي ؟

– لقد نشأت طفلة في هذه الناحية من العالم ، وكنا نزور هـذه الربوع في خريف كل عام

– هذه هي بلاد هتلر ، أليس كذلك ؟ اننـــا لا نبعد كثيراً عن برختسجادن ؟

– إنها تقع في الشمال الشرقي .

– هل كان أصدقاؤك يؤمنون بهتلر .

– كانوا يكرهونه ، وإن كانوا يمجدونه مضطرين .

– وما هي وجهتنا ؟

– أو يعنيك هذا كثيراً ؟

– ألسنا في رحلة استطلاع؟

– بلى ، ولكنها ليست رحلة استطلاع جغرافية ، إننا في طريقنا للقاء إحدى الشخصيات .

– انك تشعرينني كأننا في طريقنا لزيارة رجل الجبال العتيد .

– تعني أمير الحشاشين ، ذلك الذي كان يحرص على أن يتعاطى أتباعـه المخدرات كي يستميتوا في الدفاع عنه ، وفي القتال من أجله ، مؤمنين بأن مصيرهم الجنة حيث الحشيش والنساء ، تبـاً لأولئك المضللين الذين عرفتهم كل العصور . والذين جعلوا من أتباعهم بشراً مستعدين للموت من أجلهم .

ولقد كان هتلر من هؤلاء ، وكان أتباعه هم المأخوذون ، ومهما يكن من أمر ، فإني لاتساءل عما حدا بك إلى الحديث عن رجل الجبـــال العتيد ؟

– هل أفهم من هذا ان هذا الرجل موجود ؟

– كلا ، ليس برجل فقد يكون هناك سيدة الجبال .

– سيدة الجبال كيف تبدو !

– اسوف تري هذا المساء .

– وماذا نحن فاعلون في أمسيتنا هذه ؟
- نحن في طريقنا الى مجتمع ما .
– يلوح لي انه قد انقضت فترة طويلة منذ ان انتحلت شخصية ماري آن لآخر مرة .
– عليك ان تنتظر الى ان نقوم برحلة جوية أخرى ، وبالمناسبة يجب أن تتوخى الحذر الليلة .
– هل ثمة تعليمات ؟
– انك من المتذمرين الساخطين . انك ضد ما تعارف العالم على احترامه . انك من العصاة السريين . هل وعيت قصدي ؟
– نعم وسأحاول ان اكون هذا الرجل

ركبا السيارة التي حملتهما عبر المنحدرات وقرى الجبال ، وانحرفت بهما أخيراً الى إحدى الغابات ، حيث رأى ستافورد بعض الحيوانات الشاردة ، وبعض الرجال يحملون البنادق ويرتــــدون معاطف الجلد ، لعلهم كانوا من حراس الغابة .

وبلغت بهما السيارة مكاناً يشرف عليه حصن بني على صخرة شامخة وكان جانب منه خرباً ، وجانب قد أعيد بناؤه واصلاحه . وكان في ضخامته يمثل سلطان الماضي .
وسمع ريناتا تقول :
– لقد كان هذا البناء في البداية مقراً لدوقية ليختنشتولز وقد شيد الحصن الغراندوق لودفيج عام ١٧٩٠ .
– ومن الذي يقيم به الآن الغراندوق الحالي ؟
- كلا لقد انقرضوا جميعاً .
– ومن يقيم بالحصن في الوقت الحاضر ؟
– أحد ذوي السلطان في أيامنا هذه .

- سلطان المال ؟
- تقريباً .
- أتراه المستر روبنسون وقد سبقنا جواً الى هنا ؟
- انه آخر من ستلقاه هنا ، كن واثقاً من ذلك .
- يا للأسف فقد أعجبت بمستر روبنسون ما هي حقيقة أمره ؟

- لا اعتقد ان احداً يعرف الاجابة على هذا السؤال وانك تسمع الاقوال المتضاربة عن حقيقة امره ، فالبعض يقول انه تركي والبعض يقول انه أرمني وآخرون يقولون انه هولندي وغيرهم يقول انه انجليزي ، وهناك من يقول ان والدته شركسية ، او هندية ، الى آخر هذه الاقوال المتضاربة والتكهنات التي تزيد الامور غموضاً .

وتوقفت بهما السيارة امام باب ضخم وأسرع اليهما اثنان من الخدم بزيهم الخاص . وقام الخدم بعد أداء التحية بحمل حقائبهما العديدة الى الحصن ، والى الغرفة المخصصة لكل منهما .

وعادا ليلتقيا قبل العشاء .. فوقف ستافورد في البهو ينتظرها بعد ان رآها تهبط الدرج في جلال وبهاء ، وتقدمهما أحد الخدم ، ليفتح الباب على مصراعيه معلناً :

- الكونتس زركوفسكي ، السير ستافورد ناي .

ومهما يكن من امر ما كان يتوقع رؤيته ، فإنه لم يكن ليجول في خاطره انه سيرى ما رأى ..

لقد وجد نفسه في قاعة فخمة فسيحة مؤثثة بأفخر الرياش والطنافس وقد ثبتت الى جدرانها لوحات لاشهر الرسامين العالميين .

وفوق أحد المقاعد الكبيرة الذي يبدو وكأنه عرش عظيم ، وكانت تجلس سيدة ضخمة بدينة مكتنزة الوجه ترتدي ثوباً من الساتان البرتقالي ، وتضع على رأسها تاجاً رصع بالأحجار الكريمة ، وكان في إصبع بيديها خـــاتم السوليتير

الرائع النادر الوجود .

وعلى رغم كل هذا الجلال والبهاء ، وما احاطت به نفسها من فاخر الرياش كان ستافورد يراها بشعة ، وهي تصعده بعينيها السوداوين اللتين تشمان دهاء وذكاء . ودار بخلده لتوه هذا السؤال عن السبب في كل ما يمر به ، وظلت أنظارها متعلقة به وكأنها عميل يحاول تقييم سلعته .

- لقد حافظت على موعدك يا صغيرتي .

وكان صوتها خشناً عميقاً .

وتقدمت منها ريناتا تحييها بالحفاوة ، وتطبع على يدها قبلة الخضوع ، وهي تقول :

- دعيني أقدم لك السير ستافورد ناي .. الكونتس شارلوت فون فالدشوسين .

ومدت السيدة له يدها ، فأمسك بها يحييها تبعاً للتقاليد الاجنبية . ثم فوجيء بها تقول :

- اني أعرف عمتك الكبرى

فوقف يحملق فيها ولم يحر جواباً . وخيل الي انها استمتعت بهذه المفاجأة وبوقعها عليه .

ورآها تضحك قائلة :

- فلنقل انه كانت لي بها معرفة سابقـــة ، فقد انقضت أعوام كثيرة دون ان نلتقي . فقد كنا معاً في سويسرا ، بلوزان ، في عهد الصبا .

انها أكبر مني عمراً ، أتراها بصحة جيدة ؟

- بالنسبة لسنها ، يمكن ان أجيب بأنها في صحة جيدة .

- هل تعرف شيئاً عن زيارتك لي ؟

- ليست لديها أية فكرة عن هذه الزيارة،انها تعرف فقط اني كنت مدعواً الى مهرجان الموسيقى المصرية .

- أرجو أن تكون قد استمتعت بهذه الموسيقى ؟

- غاية الاستمتاع ، وكانت دار الأوبرا رائعة .

- لقد انفق في سبيل هذه الدار الكثير .

وسمعها تذكر رقماً يبلغ الملايين من الماركات ، ورآها قريرة العين بما كان للرقم الكبير من وقع في نفسه .

وتابعت قائلة :

- بالمال ، وبالمعرفة ، وبالقدرة وبحسن التمييز ، يفعل المرء كل شيء ، وبالمال تحصل على أحسن الأشياء .

فقال وهو يتطلع فيما حوله :

- هذا ما ألمسه هنا .

وجاءوا بمنضدة المشروبات ، وتبين السير ستافورد أن سيدة الجبل لا تحتسي الخمر . .

وسمعها تسأل :

- وأين التقيت برجلنا ؟

- في السفارة الأمريكية بلندن .

- نعم ، هذا ما قيل لي ، وكيف حال ، لقد نسيت اسمها ، آه ميللي جين جميلة اليست كذلك ؟

- ساحرة ، لقد صادفت نجاحاً كبيراً في لندن .

- وسام كورتمام البليد الخامل ، سفير الولايات المتحدة ؟

فقال ناي في لباقة :

- انه رجل متزن معقول

فأطلقت ضحكة استخفاف

ثم قالت :

- انك رجل كيس ، الست كذلك ؟ فليكن ، لا بأس به حيث هو .

انه يصدع بما يؤمر به كرجل سيامي ويمكن لميللي أن تقوم عنـه بما لا طاقة له به ، وإن لها من ثروتها خير معين ، فوالدها يمتلك نصف آبار بترول تكساس علاوة على ضياعه ومناجمه الأخرى . انه مثال حي لكبـــار أثرياء الأمريكيين ، وعلى الرغم من ذلك ، فإنها تتحلى بالبساطة ، مع ارستقراطية متزنة ، وأنت؟

– انك لست من الأثرياء كما يبدو ؟

– كنت أرجو أن أكون منهم .

– إن وزارة الخارجية لم تعد في أيامنا هذه كريمة .

– ولكنها تتيح لمن يعمل بهـا مشاهدة الكثير من البـــلاد ، والاجتماع بكثير من الناس والطواف بأنحاء العالم ليرى ما يحدث فيه .

– بعض ما يحدث ، وليس كل ما يحدث .

– قد يكون هذا من المتعذر .

– ألم نعتمل في نفسك الرغبة في رؤية ما يجري وراء الستار ا

فقال لها :

– أحياناً يدور في خلدي شيء من هذا القبيل

– لقد سمعت مـا يقال عنك وعن خواطرك ورأيك في بعض الأمور ، إنها ليست مما تعارف الناس عليه ؟

– لقد شعرت أحياناً بأنني شرير الأسرة .

وكان ستافورد يضحك وهو يقول هذا .

وشاركته شارلوت ضحكته .

ثم فجأة سألته :

– ماذا تريد من الحياة ايها الرجل ا

– لا شيء ، لست أبالي بشيء .

– هيا ، هيا او تريد مني أن أصدق هذا

ـ نعم ، يمكنك أن تصدقي هذا ، فلست بالشخص الطموح ، أريني أبدو غير ذلك !

ـ كلا في الواقع ..

ـ إن كل ما أبغيه من الحياة ، هو أن استمتع بها في دعة وفي اعتدال ، وفي مسرة .

واعتدلت السيدة في مقعدها

وفتحت عينيها وراحت تحدجه بنظراتها قبل أن تقول في صوت مختلف النبرات :

ـ هل في وسعك أن تكره ؟ هل تعرف الكراهية ؟

ـ في الكراهية تبديد للعمر .

ـ فهمت ، فهمت ، لست أرى في وجهك ملامح السخط وعدم الرضا ، هذا حق ، انني أرى فيك الشخص المستعد لأن يسلك طريقاً معيناً ينتهي به إلى مكان معين ، وهو يمضي فيه مبتسماً وكأنه لا يعبأ بشيء ، وفي نهاية الأمر إذا ما وجدت من يأخذ بيدك مخلصاً ، فإنك سوف تحصل على ما تريد إذا ما كانت لك هذه الارادة .

ـ ومن ذا الذي لا يريد ذلك ؟ انك نافذة البصيرة وترين كل شيء .

وحينئذ فتح الباب على مصراعيه ليعلن الخدم إعداد العشاء ، وكان بديهياً أن يكون العشاء ملكياً في قاعة طعام فاخرة بكل ما تعنيه الكلمة من ترف وأبهة وروعة .

وأحاطت بصاحبة الفخامة سيدتان ، وقد عقصتا شعرهما الاشيب فوق رأسيهما ..

ورأى ناي انهما بمثابة وصيفات الشرف .

وكان بالقاعة حرس خاص من الرجال العمالقة المرتدين زياً خاصاً .

وما أن خطت شارلوت إلى القاعة ، حتى شهر الرجال السيوف بحيث

تلتقي أطرافها أعلى رأس شارلوت ، التي خطرت تحتها في جلال وعظمة ، متجهة صوب مقعدها المطعم بالذهب عند رأس المائدة المستطيلة . ترى ما هي حقيقة هذه المرأة ؟

ومن عساها أن تكون ؟

وماذا تفعل هنا ؟

ووفد آخرون ، للاشتراك في تناول العشاء ، وهم يرتدون ثياب السهرة .

وبعد ان أدوا التحية الواجبة للجالسة فوق عرشها إلى رأس المائدة اتخذ كل منهم مكاناً له ، دون القيام باجراءات التعارف المرعية .

وأثناء تناول الطعام المتعدد الأصناف ، سمع صوت في الخارج ، صوت محرك قوي لسيارة سباق .

وأعقب الصوت ، صوت جماعي صادر عن الحرس الخاص : هايل ! هايل فرانز !

واتى الحرس الخاص بحركة عسكرية منتظمة .

ونهض الجميع وقوفاً ، فيما عدا سيدة الحصن ، فساد القاعة جو من الاثارة وأسرع بقية الضيوف بالانسحاب .

وتقدم رجال الحرس من السيدة العظيمة يحيونها التحية العسكرية بالسيوف ثم انسحبوا بدورهم بعد أن أومأت اليهم سيدتهم بالموافقة .

وبعد مغادرتهم الغرفة ، اتجهت السيدة بنظرها إلى ريناتا ، ومن بعدها إلى ناي قائلة :

ـ ماذا ترون فيهم ؟ هؤلاء الشبان البواسل .

فقال ناي معقباً :

ـ إنهم في غاية الروعة يا سيدتي ، إنهم الروعة مجسمة .

فانفرجت شفتاها عن ابتسامة الرضا ، ولم تزد الابتسامة وجهها سوى

بشاعة ..

يا لها من إمرأة مرعبة !

إنه ما كان يصدق سماعاً أن مثل هذه الأمور تجري، وان مثل هذا الحصن موجود بكل ما فيه .

وفتح الباب على مصراعيه ثانية ، وأقبل شباب الحرس ثانيـة ولم يكونوا شاهري سيوفهم بل أقبلوا ينشدون لحناً جيلاً في أصوات متسقة النبرات ، مدربة أحسن تدريب .

وكان اللحن من الألحان المـــألوفة لديه ، وكان يصاحب الانشاد عزف موسيقى صادر من حيث لا ترى الفرقة .

وكان اللحن من الحان فاغنر !

واصطف رجال الحرس تأهباً لاستقبال القادم الذي تجلس السيدة في انتظاره .

وأخيراً أقبل الوافد المنتظر ، وتغير الانشاد إلى ذلك اللحن الذي يعيـه ناي عن ظهر قلب !

لحن سيجفريد الشاب

وعبر الباب ، وبين صفي الأتباع المخلصين ، تقدم شاب من اكثر الشبان وسامة ، لم يسبق لستافورد أن وقعت عيناه على ند له من قبل ، ذهبي الشعر أزرق العينين ، مكتمل الجسم وكأنه فارس من فرسان الأساطير والخيال ، بكل ما يحيطهم من بهاء وعنفوان وزهو .

وخطا بخطوات ثابتة بين صفي الحرس الخاص الى أن وقف امـــام السيدة المتربعة على عرشها ، وركع على إحدى ركبتيه ، وأمسك بيدها يطبع عليها قبلة التبجيل !

ثم اعتدل واقفا ، ماداً ذراعيه مردداً تلك التحية التي سمعهـا ناي من الآخرين : « هايل ! »

ولم تكن الالمانية واضحة كل الوضوح، وإن تبين فيها عبارة : « هايل للأم العظيمة ! »

ثم تلفت الخادم الجميل فيما حوله ، وبدا وكأنه تعرف على رينـــاتا ، ثم وقعت عيناه على ستافورد ولاح فيهما وميض الاهتمام والتقدير . وترددت في ذهن ناي كلمة الحذر ! ودار بخلده انه يجب أن يؤدي دوره خير اداء ،دوره المرتقب منه .

ولكن ماذا عساه أن يكون هذا الدور على وجه التحديد؟ وفيم كان مجيئه بصحبة هذه الفتاة إلى هنا .. لماذا ؟

وأخيراً نطق البطل :

ـ هكذا أرى ضيوفاً ! مرحباً بكما .

قال ذلك في لهجة من يرى في نفسه انه من طراز متفوق على غيره في نبرات كلها صلف وكبرياء وغطرسة .

وسمعت عن بعد دقات ناقوس كبير ، دقات متميزة لها رنينها الخاص ! وانبرت شارلوت العجوز قائلة :

ـ يجب أن نأوي الى فراشنا الآن ، وسنعود للاجتماع معاً غداً صباحاً في تمام الحادية عشرة !

وتطلعت الى كل من ريناتا وناي مستطردة :

ـ أرجو لكما نوماً هادئاً

وكان هذا بمثابة أمر ملكي بالانصراف .

ورأى ناي ذراع ريناتا يرتفع بالتحية الفاشية ، ولكنها لم تكن موجهة الى شارلوت ، بل كانت موجهة الى البطل الذهبي الشعر ، قائلة :

« هايل فرانز جوزيف » .

فحذا حذوها قائلاً :

« هايل ! »

وتحدثت اليهما شارلوت قائلة :

ـ هل تحبان أن تبدءا يومكما غد بالركوب في الغابة !

فقال ناي :

ـ بودي لو تحقق لي هذا .

ـ وأنت يا صغيرتي !

ـ أجل وأنا أيضاً .

ـ حسناً سأصدر أمري باعداد كل شيء ، طابت ليلتكما ، ويسرني أن أرحب بكما هنا ، فرانز جوزيف ـ إلي بذراعك ، سننتقل إلى الغرفة الصينية إذ لدينا الكثير مما يجب أن نتدارسه قبل أن نرحل في صباح الغد .

وقاد الخادم ريناتا وستافورد كل إلى غرفته .. وتردد ناي قليلاً قبل أن يخطو إلى الغرفة !

ترى ، هل يقدر أن يتبادل معها كلمة او كلمتين ! ولكنه عدل عن هذا بعد لحظة ، إن من الخير لهما أن يتوخيا الحذر ، طالما ضمتها جدران هذا الحصن ، من يدري ؟ فقد تكون الغرفة مزودة بالميكرفونات .

- ١١ -

بعد ان تناول ستافورد طعام إفطاره ، في صباح اليوم الثاني ، بغرفة الطعام الصغيرة بالطابق الأرضي وجد ريناتا في انتظاره . وكانت الجياد معدة لها أمام الباب .

ورأى ريناتا ، بعد ان امتطيا صهوة الجياد ، تتحدث إلى الصبي الذي كان يمسك بزمامها .

ونظرت ريناتا إلى ستافورد قائلة :

ـ كان يسألني عما إذا كنت أحب ان يصحبنا فقلت له كلا ، إذ إنني أعرف المكان جيداً .

ـ هل ترددت على هذا الحصن قبلاً ؟

ـ ليس في السنوات الأخيرة ، كان ذلك في مطلع حياتي .

فرمقها بنظرة حادة ، ولكنها أشاحت عنه بوجهها ، فراح يتأمل وجهها الجانبي معجباً بأنفها الأقنى ، وبرأسها الشامخ في اعتزاز بالنفس ، فوق جيدها الجميل . وكان يشعر بضيق نفسي لم يعرف له سبباً . .

وعادت به الذاكرة الى استراحة المطار ، وإلى المرأة التي أقبلت لتجلس بجانبه والى قدح الجعة . لم يكن كل ما حدث في الحسبان لقد وجد نفسه بحكم غريزته يقبل المخاطرة وها هي تلك المخاطرة تتطور به فتنقله إلى عالم لا

يعرف عن حقيقته شيئاً .

وتوغلا في الغابة فوجد نفسه أخيراً منفرداً بريناتا حيث لا ميكروفونات ولا جدران لها آذان لقد آن الاوان لتوجيه ما يشاء من أسئلة :

– من هي ؟ ما هي حقيقة أمرها ؟

– إن الإجابة عن أسئلتك يسيرة . وهي من اليسر بحيث يصعب عليك تصديقها !

– حسناً ؟

– إنها البترول والنحاس ومناجم الذهب في جنوب إفريقيا .. إنها مصانع السلاح في السويد ومواقع الأورانيوم في الشمال ، إنها الطاقة النووية . إنها كل هذه الأشياء معاً

– ومع ذلك ، فلم أسمع بأمرها من قبل ، ولست أعرف شيئاً عمن عساها ان تكون .

– لأنها لا تريد ذلك .

– أويمكن كتمان مثل هذه الأمور ؟

– نعم المال يصنع كل شيء.

– ولكن من هي فعلاً ؟

– كان جدها أمريكياً ، وقد تزوج ألمانية .

أعتقد انك سمعت عنها بيج بيلندا . وكانت تمثل مصانع السلاح والسفن وقدراً كبيراً من ثروة أوروبا الصناعية . كانت الوريثة الوحيدة لوالدها ، فإذا ما جمعت هذه الثروة مع ثروة الزوج الممثلة في السكك الحديدية حينذاك بأمريكا لوجدت المال والقوة والنفوذ والسلطان .

ولقد ورثت صاحبتنا هذا كله واستزادت منه وحالفها الحظ وحسن الطالع إن المال يأتي بالمال .

– أعرف هذا . لكن ماذا تريد وتبغي ؟

– السلطان والقوة !

– هل تقيم هنا ؟

– إنها تقوم بزيارات لأمريكا وللسويد من آن لآخر لكنها تفضل الاقامة هنا ، في هذا الحصن الذي يعد بمثابة مركز نسيج العنكبوت حيث تمسك بخيوطه ، وتسيطر عليها وهي خيوط من المال والفنون والموسيقى والتصوير والأدب .

– كل هذا بين يدي إمرأة عجوز مترهلة بشعة وهل هي قانعة بذلك ؟

– ليس بعد ، وإن كانت بسبيل هذا .

– وماذا تريد علاوة على كل ذلك ؟

– إنها تحب الشباب ، إنها ترى فيهم نموذجاً للقوة . والعالم زاخر بالشباب المتمرد الثائر وهي تستهدف السيطرة عليهم .

– وكيف سيتسنى لها ذلك ؟

– لا أدري على وجه التحديد، انه تجمع هائل له شعبه وفروعه التي تسانده وتموله بوسيلة او باخرى . وهو لم يستكمل بعد تنظيمياً . انه بمثابة رسالة لتحقيق الأماني والآمال الموعودة ، كتلك التي تعلقت بها جماعات كثيرة كجماعة الحشاشين .

– وهل لها علاقة بتعاطي المخدرات ؟

– كوسيلة لإخضاع الناس لإرادتها ، أو للقضاء عليهم ، على الضعفاء منهم وبالتحديد على من ترى انه لا نفع منهم . اما هي فإنها لا تتعاطى المخدرات ولا تقربها فهي قوية ذات شخصية والمخدرات داء الضعفاء من الناس .

– وماذا عن القوة ؟ إن مجرد الدعاية لا يكفي لبلوغ الهدف .

– كلا ، بكل تأكيد . إن الدعاية هي المرحلة الأولى ، وبعدها التسليح . تلك الكميات الهائلة من الأسلحة التي تزود بها الدول المحرومة وغيرها . دبابات ومدافع وأسلحة ذرية ترسل الى افريقيا وأمريكا الجنوبية حيث يتدرب الشباب

ذكوراً واناثاً استعداداً لما هو آت .

– لكأني في كابوس ثقيل ! كيف أحطت علماً بكل هذا ؟

– لأنني في الصورة كأداة من أدوات الجماعة .

– أنت ؟ كيف كان اتصالكما ؟ أنت وهي ؟

– وراء كل مشروع توافه تدعو للعجب .

ثم أطلقت ضحكة وهي تتابع قائلة :

– اذا علمت بأنها كانت على علاقة حب بجدي ، لأدركت الكثير مما يقع في هذه الحياة من مصادفات القدر . كان جدي يقيم في هذه البقعة من العالم. وكان له حصن على بعد ميلين .

– وهل كانت له مواهب خاصة ؟

– أبداً ، كان رجلاً رياضياً وسيماً يحظى باعجاب النساء ، ولذلك فهي تنصب نفسها وصية علي وتعدني احدى أتباعها او عبيدها. فعلي ان أعمل لأجلها وأصدع بأمرها

– هكذا ؟

وتطلع الى ريناتا واستعاد في ذهنه ما كان في المطار ، اذن فهو يعمل الآن مع ريناتا ، وهي التي أتت به الى هذا الحصن . ترى بأمر من اصطحبته الى هذا المكان ؟ هل هي شارلوت البدينة التي أمرتها بأن تصطحبه الى بيت العنكبوت ؟

لقد كان معروفاً عنه في الاوساط الدبلوماسية انه غير رصين وقد تكون هذه السمعة هي التي حدت بهؤلاء القوم الى محاولة الانتفاع به في إحدى النواحي ثم كانت ريناتا هي أداتهم لتنفيذ بغيتهم ، مستغلة نواحي ضعفه .

وسمعها تقول له :

– لنعد أدراجنا .

– لكنني لم أستفسر منك عن حقيقة وضعك في العملية بأسرها ؟

ـ أنا من تؤمر فتطيع .

ـ ممن ؟

ـ من المعارضة ، ممن يرتابون في كل ما هو جار وما سيجري من تغييرات في هذا العالم .

ـ ريناا هل زدتني ايضاحاً ؟

ـ لقد أوضحت ..

ـ من هو فرانز جوزيف ؟

ـ الشاب الذي رأيناه أمس ؟

ـ أهو اسمه ؟

ـ انه الاسم الذي يعرف به .

ـ والاسم الآخر ؟ أهو سيجفريد الشاب ؟

ـ أهو رأيك فيه ؟

ـ نعم .. مثال الشباب ، الشباب البطولي ، الشباب الآري المتفوق على سائر الاجناس .. ترى ما هو عمله على وجه التحديد ؟ ما هو عمله علاوة على تقبيل يد سيدته ؟

ـ الخطابة ، انه خطيب أوتي القدرة على التأثير في مستمعيه وامتلاك ناصيتهم ودفعهم حتى الى الموت .

ـ أحقاً ما تقولين ؟

ـ هذا ما يؤمن به .

ـ وأنت ؟ ما رأيك ؟

ـ قد يكون هذا حقاً ، ان للخطابة تأثير خطير . انها موهبة تتطلب سحراً خاصاً وجاذبية قوية . ان لنبرات صوته رنيناً خاصاً ، تبكي له النساء ويفقدن وعيهن ، سترى هذا بنفسك .

ـ وماذا علي ان أفعل ؟ . أو ما هو الدور المعد لي ؟

- أن تتبع دليلك ، ودليلك هو أنا . اني سآخذ بيــدك الى الجحيم ، وسأطلعك على ما لم يخطر لك ببال .

- هل يجب ان أوليك ثقتي ؟

- هذ متروك لك . ان لك الخيار بين ان توليني طهرك ، او أن تمضي معي قدما .

- بقي سؤال يحيرني . لقد أمرتك شارلوت بأن تجيئني بي لزيارتها لماذا ؟ ماذا تعرف عني ؟ وماذا تتوقع مني ؟

- لا أدري على وجه التحديد ، قد تعهد اليك بما يتفق ونزعتك وميولك .

- ١٢ -

غادرا الحصن في منتصـف النهار مودعـين مضيفتهما ، واستقلا السيارة التي عبرت بهما الطرق الجبلية ، بعيداً عن الحصن بمسيرة عدة ساعات ، الى معقل بين الجبال حيث تعقد الاجتماعات ، وتقام احتفالات مختلف جماعات الشباب .

وريناتا هي التي أتت به الى هنا . اليست هي دليله المرشد . ومن مقعده فوق الصخور العارية راح يتابع ما يجري أمامه ويصغي لما يقال . وبدأ يدرك شيئاً فشيئاً كنه ما كانت تتحدث اليه به في الصباح المبكر . لقد اتت به ليشاهد هذا الجمع الغفير الذي تزكي فيه لهب الحماسة فيتدفق كالموج المتلاطم ليهاجم السفارات والجامعات ، فيعتدي على رجال الامن وغيرهم ، ويرى بعينيه ويسمع بأذنيه مفهوم هذه العبارة ودلالتها :

« سيجفريد الشاب » .

وكان فرانز جوزيف ، اذا كان هذا هو اسمه ، يخطب في الجموع المختلفة . ولصدي صوته الذي كان طوع أمره وقعه في آذان المستمعين وتأثيره العميق في قلوبهم . وكانت استجابتهم لما يصدر عنه واضحة بينة ، وكانوا كأفراد الفرقة الموسيقية أمام القائد ، يتبعون عصاه أينما وجهتهم . ومع ذلك فلم ينطبع من كلماته في ذهن ستافورد شيء . ولم يكن لاي منها معنـــاه

العميق . وبعد ان فرغ الخطيب من القاء خطابه ، كان الصراخ الصادر من الحناجر ، وصراخ الفتيات اللاتي أغمي على بعضهن . يا له من عالم ! عالم متأجج المشاعر . لا يبالي بشيء .

وبلمسة من يد دلياته ، تبعها لينسحبا بعيداً عن الحشد المائج واستقلا سيارتها إلى إحدى المدن الجبلية ، حيث توقفا أمام فندق ، حجزت لهما به غرفتان .

وغادرا الفندق بعد قليل سيراً على الأقدام إلى ان اتخذا لهما مجلساً فوق منحدر الجبل . وهنالك جلسا في صمت ينظران إلى الوادي في تأمل عميق .

وبعد حوالي خمس دقائق انبرت ريناتا قائلة :

ــ ما رأيك فيما شاهدت ؟

ــ لم أقتنع بشيء منه .

ــ هذا ما كنت أتوقع سماعه منك .

ــ إنه مجرد عرض محكم الإخراج وتلك المرأة هي التي تموله وتدفع للمخرج أجره ، لكننا لم نر المخرج اليوم . إن من رأيناه هو النجم فقط .

ــ إنـه ليس بأكثر من ممثـل ممثل من الدرجـة الأولى ، أحسن توجيهه و ..

وضحكت ريناتا ، ونهضت واقفة .. وقالت في سعادة وسخرية واضحتين :

ــ كنت أعرف ذلك كنت أعرف رأيك مسبقاً .

إن لك خبرة واسعة بالحياة ، فقد اوتيت القدرة على حسن تقييم كل شيء وكل شخص . وليس ثمة من حاجة لذهابك إلى ستراتفورد لمشاهدة مسرحيات شكسبير لتعرف دورك ، إن الملوك وعظماء الرجال يجب ان يلحق ببلاطهم مهرج ، مهرج الملك الذي يصارح مليكه بالحق ، ويجعل مما يقوله الناس ويفعلونه مادة للضحك .

- إذن فهذا هو دوري اليس كذلك ، مهرج البلاط ؟

- ألم تتبين هذا بنفسك ؟ إن هذا ما نريده ، وما نحن بحاجة اليه « الورق المقوى » التدليس بأحلى معانيه ! إن الناس يؤخذون بالظواهر ، فيرون هذا الشيء رائعاً ، أو يرونه شراً ، أو يرونه بالغ الأهميـــة ، وفي جميع الأحوال لا يكون هذا هو الوصف المطبق عليه . وعلينا ان نهتدي إلى الوسيلة التي نبين بها للشباب المخدوع ان كل هذا باطل الأباطيل . وهذا ما نحن بسبيل القيام به .

- أهذا هو رأيك ، ان نقوم في نهاية الأمر بقلب الأمور ، رأساً على عقب ؟

- قد تبدو فعلاً ان هذا مستبعد . ولكنك يجب ان تعرف انه بمجرد ان يلمس الشباب ان الأمر ليس بالحقيقي

- هل تزمعين القيام بمهمة الواعظ ؟

- كلا بداهة ، فما من أحد يصغي الينا إن علينا ان نقدم اليهم الدليل الوقائع ، الحقائق .

- ألدينا من ذلك الكفاية ؟

- نعم ، ما كنت أحمله معي في فرانكفورت ، وأعنتني على السفر به في أمان إلى انجلترا .

- لا أفهم شيئاً مما تقولين .

- ليس بعد ، سوف تفهم في الوقت المناسب ، إن كل ما علينا الآن ان نفعله هو ان نؤدي دورنا المعين ونحن الآن مستعدون له إننا نمجد الشباب ونحن من أتباع الشاب سيجفريد المؤمنين به .

- لك ان تحكمني بذلك على نفسك . أما عني فلا . هذه هي دخيلة نفسي التي لا اظن ان أحداً سيعرف عنها شيئاً .

- بكل تأكيد لا . وأوصيك بالا تكشف عن خبيئة نفسك .

– لا زلت غير مدرك لدوري على وجه التحديد .

– إنه دور الساخط التقليدي . انك لم تقدر حق قدرك في الماضي ، وقد وجدت في سيجفريد الشاب ودعوته ما أعاد لك الأمل في مستقبل باسم ، لأنك تؤمن به وبأنه سيضعك في المكان المناسب الذي يحقق أمانيك بعد تغير الأحوال في هذا العالم .

– أتلمحين لي بأنها حركة عالمية .

– بكل تأكيد ، إنها لكذلك . انها حركة عاصفة يراد بها ان تأتي على كل شيء .

وهذا ما يريده الناس في كل مكان . أجل ، إنها حركة عالمية ، يقوم بها الشباب بكل ما فيه من حيوية . إنهم لم يؤتوا المعرفة ، وليس في ماضيهم من التجارب ما يتسلحون بخبرته . ولكنهم مزودون بالنشاط يساندهم المال ، ويشد أزرهم ..

إنهم ينظرون إلى مستقبل سداه العلم ولحمته اليقين ..

فقاطعها السير ستافورد بقوله :

– بودي لو عرفت شيئاً .

– ما هو ؟

– ما هي وجهتنا بعد ذلك ؟

– أمريكا الجنوبية . وربما عرجنا على الباكستان او الهند في طريقنا . كما يجب ان نذهب الى الولايات المتحدة . إن فيها من الأمور ما هو مشوق حقاً وبالذات في كاليفورنيا .

– الجامعات ؟ الجامعات ثانية ؟ تلك الأحداث المماثلة ؟

وران عليهما صمت عميق ، وكانت الشمس تنحدر نحو المغيب ، وقد انعكست أشعتها الحمراء على قمة الجبل فبدا المنظر رائعاً اخاذاً . واخيراً قال ستافورد وقد حفل صوته بنبرات الحنين والشوق :

– أتعرفين الموسيقى التي أحب ان أسمعها في هذه اللحظة بالذات ؟

– موسيقى فاجنر ؟ أم لعلك تحررت من أسارها ؟

– كلا انه فاجنر من تأمرني ألحانه ، لكم كان بودي ان أشاهد هانز ساكز جالساً تحت شجرته العتيقة ، متجهاً بحديثه الى العالم ، « عالم مجنون ، مجنون ، مجنون » .

– أجل هذا خير تعبير سمعته . وموسيقى هذا الموقف جد جميلة. لكننا لسنا بالمجانين ، اننا جد عقلاء .

– في غاية الاتزان والعقل ، وهذا بيت الداء .

- ١٣ -

كانوا خمسة اشخاص جالسين في غرفة بباريس ، وقد شهدت هذه الغرفـة اجتماعات تاريخية من قبل ، وكان هذا الاجتماع فريداً في بابه ، الا انه لا يقل اهمية عن سابقيه !

وكان المسيو غروغيان رئيس الاجتماع ، شخصاً قلقاً يبذل أقصى ما في وسعه ليمر مر الكرام على الأمور ، ويعالجهـا بروح ساخرة كانت له خير عون في الماضي .

ولكنها أصبحت غير ذات منفعة في أيامنا هذه .

وكان السنيور فيتالي قد وصل من إيطاليا عن طريق الجو منذ ساعة ، ولم يكن ليهدأ له بال او يستقر له قرار

وراح يردد :

ــ لقد تجاوزا كل الحدود ، إن هذا اكثر مما يخطر على بال .

فيردف مسيو غروغيان قائلاً :

ــ هؤلاء الطلبة ، هذا ما نعاني منه جميعاً .

- لقد بلغ الأمر حد الخطورة ، انهم التربة الصالحة للاثارة ، والضحـــايا الطيعة لكل من يريد استغلالهم .. انهم ما زالوا صبية صغـاراً لم يشبوا عن الطوق ، صبية يزودونهم بالأسلحة والقنابل والمتفجرات ، وعددهم في مدينة

مثل ميلانو يفوق عدد رجال الشرطة .

– ترى ماذا نحن فاعلون ؟ وإلى اين نحن مسوقون ؟

وزفر مسيو غروغيان قائلا :

– إن الفوضى من الأمور الشائعة بين الشباب ، إنهم يعتنقونها مبدأ هذا هو دأبهم شباب وعدم شعور بالمسؤولية ، إلى آخره .

ويردف مسيو بوا سونييه قائلاً :

– الطلبة .. انهم مصدر المتاعب :

وكان الرجل عضواً في الحكومة الفرنسية التي عانت من الطلبة الكثير ، وكانت عقدة الطلبة هي ما يقض مضجع مسيو بواسونيه .

وانبرى مسيو غروغيان متسائلاً :

– وقضاتنا ؟ ماذا دهى السلطة القضائية ؟ إنهم لا يوقعون بالشباب العقوبات الرادعة ولا يأخذونهم بالشدة والصرامة اللازمتين ، اننا يجب أن نجهر بالقول ولا نخشى احداً .

اني أشم رائحة المال ، وإن كنت لا أعرف له مصدراً ، ثمة أمور تجري في الخفاء ، يراد بها إفساد شؤون هذا البلد إن كل ما تسنى لي ان اعرفه هو أن هذه الاموال واردة من الخارج .

فقال السنيور فيتالي :

– وهذا هو الحال في إيطاليا ، ترى من ذلك الذي يريد إفساد العالم ؟ أية جماعة هذه ؟

فعقب غروغيان بقوله :

هذه الظاهرة يجب أن تتوقف فوراً ، ويجب أن نعمل على ذلك جادين غير مدخرين وسعاً ، يجب القضاء على هذه الفوضى قبل أن يستشري أمرها اذني أعرف انهم يتلقون كميات كبيرة من مختلف الأسلحة .

وفي هذه اللحظة فتح الباب وأقبل منه سكرتير مسيو غروغيان وعلى

وجهه دلائل الانفعال .

فقال له مسيو غروغيان ممتعضاً :

– ألم أقل انني لا أريد أن يقاطعنا أحد ؟

– بلى .. سيدي الرئيس ، ولكن الأمر غير عادي

واقترب من رئيسه هامساً :

– المارشال هنا وهو يلح في طلب الاذن بالدخول .

– المارشال ؟ تعني . .

ولكنه لم يتم عبارته ، إذ فتح الباب وأقبل منه شخص معروف للجميع شخص لم تكن كلمته هي القانون فحسب ، بل كانت فوق القانون في فرنسا لعدة أعوام مضت .

وكانت رؤيته مفاجأة مذهلة لمن ضمتهم الغرفة .

وبادرهم المارشال قائلا :

– تحياتي لكم زملائي الأعزاء ، لقد أقبلت لأعاونكم ، إن بلادنا في خطر . وعلينا أن نسرع بالعمل وقد أتيت لأضع خدماتي تحت أمركم ، واني لمتحمل كل المسؤوليات ، وإنقاذ فرنسا فوق كل اعتبار .

إن الموقف لم يعد يحتمل الكلام ، إنهم يجتمعون – هؤلاء الطلبة الذين يندس بينهم جماعات من ذوي السوابق والقتلة والمجرمين .

ولقد بعثت في طلب فرقتين ، وأخطرت القوات الجوية ، إن هذه الثورة يجب أن تخمد فوراً إنها خطر ماثل يهدد الرجال والنساء والأطفال والممتلكات وسأحاول التحدث اليهم كوالد أولاً ولن أفرق بين الطلبة وبين من يندس بينهم من مجرمين بادىء ذي بدء .

إن الطلبة ومن يلوذ بهم ، هم شباب فرنسا ، وعدة مستقبلها هذا ما سأحدثهم به ، علاوة على ما سأمنيهم من وعود ، فسيكون هذا باسمكم وباسم الحكومة

– مارشال ولكنك ان تعرض نفسك للتهلكة ، يجب أن ..

وخطا المارشال صوب الباب قائلاً :

– إن هيئة الأركان في الخارج ، وفي انتظاري حرسي الخاص ، وانني ذاهب إلى هؤلاء الشبان الثائرين ، إلى زهرة شباب البلاد لأبصرهم بواجبهم .

واختفى عن أنظارهم في عظمة ..

– رباه ! انه يعني ما يقول !

وأردف السنيور فيتالي بقوله :

– انه يخاطر بحياته ، انه شخص مقدام ، ولكن من يدري ؟ مـــاذا سيكون موقف الشباب الثائر منه ؟ إنهم قد يقتالونه .

- ١٤ -

في قاعة اجتماعات مجلس الوزراء البريطاني برقم ١٠ داوننج ستريت ، كان سيدريك لارنباي ، رئيس الوزراء جالساً إلى رأس المائدة يتأمل المجلس المجتمع وهو ممتعض الوجه متجهمه .

وكان يجد في الانطلاق بمشاعره تسرية له ، الأمر الذي لا يتيسر له خارج قاعة المجلس وقد كان لزاماً عليه ، بحكم منصبه الخطير ، أن يبـــدو بمظهر المتفائل ، المنشرح الصدر ، مهما يكن من أمر ما يعترضه من أزمات سياسية

وتأمل جوردون شيتويند ، الذي كان مقطب الجبين والسير جورج باكهام البادي القلق الشارد الذهن .

كما تنقل بعينيه بين المارشال الجوى كنرود ، والأمـيرال بلانت ، الذي كان يطرق باصبعه على المائدة إلى أن يأتي دوره في الكلام ، والذي انبرى قائلاً :

– ليس هذا بالأمر الهين .. إن علينا أن نعترف بذلك ، لقد خطفت اربع طائرات لنا في الأسبوع الماضي ، واتجه الخاطفون بهـــا إلى ميلانو ، وهناك أخرجوا المسافرين منها ، ثم اقلعوا بها إلى أفريقيا ، حيث كان في انتظارهم بعض الطيارين السود .

فانبرى لازنباي قائلاً :

- او الحمر ؟ فالأمر سيان ، قد يكون من الأجدى الاتصال بالروس ، وفي الواقع اني أرى القيام بزيارة شخصية على مستوى القمة ..

فقاطعه الأدميرال بلانت بقوله :

- سيدي رئيس الوزراء من الخير لك أن تلزم مكانك ولا تعود إلى هذه المحاولة ، ان ما يجري في بلادنا لا يعنيهم لأنهم لا يتعرضون لمثله . إن ما يعنيهم هو ما يجري في الصين فلتبق في بلادك لترعى شؤونها

وهنا انبرى غوردون شيتوبند قائلاً .. وهو يتطلع ناحية كولونيل مونرو :

- اليس من الأفضل أن نستمع إلى تقريري عن حقيقة ما يجري ؟

- هل تريدون حقائق ؟ فليكن ، إنها حقائق لا يتطرق الشك اليهـا ، وأعتقد انكم لا تريدون تفصيلات عما يجري هنا بقدر ما تريدون ذلك عن الوضع العالمي بصفة عامة

- تماماً ..

- حسناً ففي فرنسا لا زال المارشال بالمستشفى بعد إصابته برصاصتين في ذراعه والدوائر السياسية في غاية الانزعاج والقلق ، وقد استولت فرق الشباب على نواح كثيرة من البلاد ، حيث تمارس سلطانها .

فقال غوردون شيتوبند في فزع :

- تعني أن لديهم أسلحة ؟

- والكثير من الأسلحة . ولست أدري شيئاً عن مصدرها ، هناك اكثر من وجهة نظر حول هذا الموضوع ويقولون أن شحنات كبـيرة من الأسلحة قد شحنت من السويد إلى غرب إفريقيا .

- وماذا يعنينا من كل هذا ؟ فليحصلوا على كل مـا يريدون من سلاح في غرب إفريقيا وليقتلوا بعضهم بعضاً .

فقال مستر لازنباي :

- ثمة حقيقة تستلفت النظر . إن هذه الأسلحة قد أعيد تصديرها من غرب افريقيا في خمسة ايام من وصولها ، ومن هنا يتضح لنا انها لم تكن مرسلة أصلاً الى غرب افريقيا ، وانها قد تكون شحنت بالتالي إلى الشرق الأدنى .

- لست افهم . واني لاتساءل .

فقال السير جورج :

- يبدو ان ثمة منظمة مركزية في مكان ما خلف هذه الامدادات . وقد لوحظ ان مختلف الأسلحة تسلم إلى قادة فرق الشباب، وزعماء حرب العصابات والفوضيين الكبار .

وذهل سيدريك لازنباي لما سمع وقال :

- هل تعني اننا نواجه ما يمكن ان نسميه حرباً على نطاق عالمي ؟

ولأول مرة ، يتحدث الرجل الأسيوي الوجه الجالس في آخر المائدة وهو يبلسم ابتسامته المنغولية قائلاً :

- هذا ما نجدنا مرغمين على تصديقه ، ان عيوننا تخبرنا .

- هلا اقلعت عن ملاحظاتك .. سيتولى المختصون كل شيء ، في الأمم المتحدة .

ولم تختلج في الوجه الهادىء خالجة ..

بل قال :

- إن هذا لن يتفق مع مبادئنا .

وواصل الكولونيل مونرو تلخيص تقريره في صوت مرتفع :

- ثمة قتال يدور في بعض جهات من العالم ، في آسيا وفي افريقيا ، وفي نواح أخرى والقوات المسلحة لجماعة الشباب هي المسؤولة عن كل هـــذه الاضطرابات . انك تعرف ان سام كورتمان أطلق عليه الرصاص وهو يرتقي درج السفارة الأمريكية .

- كان من المفروض أن يشترك معنا في هذا الاجتماع ليدلي الينا بالديه من

آراء عن الموقف .

فقال الكولونيل مونرو :

ـ لا أعتقد ان آراءه كانت تعنينا في كثير أو قليل .

ـ إن قدرته محدودة .

فتساءل لازنباي وقد احتد صوته :

ـ ترى ما هي اليد التي تحرك كل هذا ؟

ـ قد تكون صينية او المانية .. في الواقع اننا لا نعرف على وجه التحديد ان هذه الحركة ما هي إلا احياء الروح الفاشية بين الشباب . وجدير بالذكر انهم يطلقون على انفسهم أسماء مثل « الآريون العظام » و« شباب سيجفريد » إلى آخر هذه الأسماء التي دلالتها .

واستأذن السكرتير في الدخول قائلاً :

ـ البروفسور اكنشتاين يستأذن في الدخول .

وقال سيدريك لازنباي :

ـ يحسن ان يشترك معنا . فقد نسمع منه ، ما يوضح لنا بعض الأمور . وقد نعرف منه آخر ما توصلوا اليه من أبحاث السلاح .

فانبرى المارشال الجوي قائلاً :

ـ قد نستفيد من أي سلاح سري جديد .

وكان البروفسور اكنشتاين رجلاً قميئاً لا يبدو عليه انه قمة العلماء البريطانيين .

وكان خجولاً عصبي الحركات ..

واحتل المقعد الذي عين له ، وراح يتطلع فيما حوله ، قبل ان يبادره السير جورج باكهام قائلاً :

ـ ان رؤساء جميع الخدمات موجودون هنا ، ونريد أن نسمع منك عما

يمكن أن نقوم به .

وخيم السكوت على القاعة .

وأردف سيدريك لازنباري يستحثه :

– يقولون انك قمت ببعض الاكتشافات الهامة أخيراً .

فخرج البروفيسور اكشتاين عن صمته قائلاً :

– أجل ، هذا حدث فعلاً ، لقد توصلنا إلى بعض الأسلحة الكيمائية من كل نوع خطير وهي تحت أمركم ، انها شديدة الفتك

– ليس هذا ما نريد على وجه التحديد .

– اني أقرر واقع فاعليتها المرعب ، أما ما عدا هذا فمتروك لكم .

وتابع العالم الكبير في سرد تفصيلات نتائج استعمال الأسلحة البيولوجية الفتاكة التي تفوق سائر ما عداهـــا من أسلحة الدمار ، موضحاً مدى خطورتها .

وأخيراً قال له مستر لازنباي .

– شكراً بروفيسور اكشتاين .

ورأى البروفسور في هذا الشكر أذناً له بالانصراف فابتسم للجميع مغادراً القاعة .

وما أن أوصد الباب وراءه ، حتى زفر رئيس الوزراء في حرقة ، وتساءل غوردن شيتويند قائلاً :

– ترى هل ثمة مزيد من العلماء في الانتظار ؟

فقال لازنباري :

– بايكواي هنا ، ومعه صورة او رسم – أو خريطة يريد إطلاعنـــا عليهـا .

– وماذا عساها أن تكون ؟

– لست أدري ، وكذلك أقبل هورشام .

فقال شيتويند :

- قد يكون لديه جديد !

وأقبل الكولونيل بايكون ، وكان يحمل بمعاونة هورشام خريطـة مطوية فضها أمام المجتمعين بحيث يتسنى للجميع القاء نظرة عليها .

وقال بايكواي موضحاً :

- قد يعطيكم هذا الرسم غير الدقيق فكرة .

ثم أردف :

- هورشام ، يحسن ان تتولى محاضرتهم ، انك ملم بالفكرة العامة .

قال هورشام

- اني لا أعرف اكثر مما قيل لي ، هذا رسم هندسي لجماعة السيطرة على العالم .

- بواسطة من ؟

- بواسطة هذه الجماعة وتشكيلاتها التي تسيطر على مصادر القوة في العالم.

- وإلى ماذا ترمز هذه الحروف الهجائية ؟

- قد ترمز إلى شخص أو الى جماعة ، وهي دوائر تغطي الكرة الأرضية بمعنى ان ثمة شخصاً أو جماعة تتولى أمر التسليح ، وهو مـا يرمز اليه بحرف الألف ، وحرف الدال يرمز الى المخدرات وهم لا يبغون بها ربحاً بقدر مـا يبغون بها التأثير على الأتباع واتخاذها وسيلة للقضاء على ضعـاف النفوس من الشباب ، ممن يظلون عبيداً لهم .

والتاء تعني التمويل ، وأهم شخصية ممولة للجماعة هي شارلوت كروب التي تتحكم في ثروات طائلة .

وترمز السين إلى العلم ، وكل ما هو جديد في الحرب البيولوجية ، وتنتشر فروع هذه الجماعة في الشرق الأدنى وفي آسيا وأوروبا وأمريكا الجنوبية تبعاً لاختصاص كل من هذه المناطق في التوزيع وفي التدريب وفي النشاط ، ونحن

نطلق على هذا الرسم الهندسي إسم « الحلقة » ، وقد توصلنا إلى التعرف على زعماء هذه الحلقة بأسمائهم الحقيقية او الحركية ، وعلى مراكز قوتهم بقدر الامكان حسب القائمة التالية :

الحلقـة

ش – شارلوت المعجوز – بافاريا – التمويل .
أ – أريك أولافسون – السويد – التسليح .
د – ديمتروبوس – ازمير – المخدرات .
س – دكتور ساروليبنسكي – كولورادو (امريكا) – كيميائي .

أما حرف الجيم ، فهو يرمز لامرأة يطلق عليها إسم حركي هو جوانيتا ، ويقال عنها إنها امرأة خطرة ولا يعرف شيء عن اسمها الحقيقي ، وبديهي أن تكون مهمتها نضالية .

- ١٥ -

جازفت العمة ماتيلدا بقولها :

- لقد خيل الي انني بحاجة إلى الاستشفاء ؟

وقال الدكتور دونالدسون ، وقد بدت في وجهه إمارات الحيرة :

- الاستشفاء ..

فاستطردت ليدي ماتيلدا موضحة :

- هذا ما كنا نطلقه على رحلاتنا الاستشفائية في الماضي في مارينباد ، وكارلسباد ، وبادن بادن ، إلى آخر هذه الأسماء ، وقد قرأت بالأمس فقط عن هذا المكان الجديد في الصحف . انه جديد عصري حديث ، ويقولون ان به كل ما هو مستحدث مبتكر !

- أعتقد انني اعرف هذا المكان ، انهم يعلنون عنه كثيراً .

- ان من هم في مثل سني ، يحبون رؤية كل جديد ما رأيك ؟

وتطلع اليها الدكتور دونالدسون ، الذي لم يتجاوز الأربعين من سني حياته ..

والذي كان في عجب مما تزعمه هذه السيدة التي قاربت التسعين ..

وأخيراً ..

تغلبت عليه اعتبارات مهنته فقال :

– قد تكون فكرة صائبة ، حقيقة إن السفر متعب وإن كان أقل تعباً في أيامنا هذه بفضل الطيران .

– قد يكون أسرع فقط ، هل يمكن أن يحصل الانسان على مقعد متحرك في المطارات ؟

قال الطبيب

- بكل تأكيد .. إنها لفكرة رائعة ، إذا مـا وعدتني بألا تجهدي نفسك ..

– أدرك ما تعني ، وأعدك بأن أدبر لنفسي كل وسائل الراحة حيثما ذهبت .

– سوف تصطحبين مس ليذيران معك ، بكل تأكيد .

– تعني آمي ؟ نعم .. انني لا أستطيع الابتعاد عنها .. وأخيراً هل توافق .

قال الطبيب

– أرجو لك رحلة طيبة .

فسألت ليدي ماتيلد :

ـ شكراً ، لرقتك ولتشجيعك ، ان مجرد التغيير قد يفيدني ، فليس ثمة ما يمكن أن استشفي منه . إنها الشيخوخة والسأم ..

– كل ما أرجوه هو ألا ترهقي نفسك .

واستدعت ليدي ماتيلدا آمي ، التي عهدت اليها بأن تأتيها بخريطة من المكتبة لتتعرف بها على موقع من بافاريا من البلاد التي تحيط بهـا . وأسرعت آمي تحمل اليها الخريطة وعويناتها المكبرة .

* * *

تلفتت ليدي ماتيلدا فيما حولها ، وراحت تتأمل الغرفة الأنيقة الفاخرة ، راضية عن حسن اختيارها لأنها جمعت علاوة على ذلك كل أسباب الراحة والدعة ، والتسلية القديمة والحديثة .

وبعد قليل ، سمعت طرقاً خفيفاً ، ثم فتح الباب ليطل منه وجه آمي المخلصة تستأذن في الدخول .

وأقبلت آمي قائلة في صوت هادىء وديع :

ـ أرجو أن تكوني قد استمتعت بنوم هادىء .

ـ أجل .. هل حصلت على تلك القائمة ؟

ومدت آمي يدها الى سيدتها بما سألتها عنه .. وبعد أن القت ليدي ماتيلدا نظرة على القائمة قالت :

ـ يا لها من قائمة مقيتة ، وما هو مذاق تلك المياه ؟

ـ ليس بالجيد .

ـ هذا ما كنت أتوقعه ، عودي بعد نصف ساعة إذ ان لدي رسالة أريد أن أبعث بها .

ونهضت السيدة الى المكتب الصغير ، وبعد أن أطرقت تستعرض ما هي بسبيل تحريره .

أمسكت بالقلم تدون ما استقر عزمها عليه .

وتمتمت قائلة :

ـ لعله ان ينتج أثره .

فقالت آمي :

ـ معذرة ليدي ماتيلدا ، ماذا قلت ؟

ـ كنت أكتب لصديقتي القديمة التي تحدثت اليك عنها .

ـ صديقتك التي مضى على آخر لقاء بينكما حوالي الستين عاماً ؟

فأومأت ليدي ماتيلدا برأسها إيجاباً .

واستطردت آمي معتذرة :

– إنها لفترة طويلة ، ولم تعد ذاكرة الناس لتعي ما طال عليه الأمـد ، أرجو ألا تكون قد نسيت ما كان بينكما .

– انها لن تنس بكل تأكيد .. ان ذكريات الصبا لا تنسى ، بـل انها تنطبع في الذاكرة ، أنا واثقة من أنها ستذكر كل شيء عني .. وعن لوزان .

– ابعثي بهذا الخطاب عن طريق البريد .

وعادت الى فراشها بعد أن التقطت نسخة من تقويم (جوتا)

السجل الرسمي لأسماء وتواريخ الأسر الارستقراطية العريقة في اوروبا ، وراحت تراجع بعض فقراته التي تتضمن معلومات عن مختلف الأسر ، وما حل بها .

ولم تكن تتوقع أن تجد شيئاً بالذات عن الشخصية التي تجول خاطرها . ولكنها قرأت عن سيدة أقامت في أنحاء من العالم ، ثم قدمت لتقيم في حصن كان ملكاً لأسلافها النبلاء ، وحظيت باحترام الدوائر المحيطة بها ، لا لكرم محتدها ، وانما لثروتها الطائلة .

* * *

بعد مسيرة خمسة عشر ميلاً ، توقفت بها السيارة أمـــام الحصن الذي اقتيدت فيه الى احدى قاعات الاستقبال الفسيحة .

وكانت ليدي ماتيلدا كليكهيتون قد تأنقت في ارتداء ثيابهـا ، ضاربة عرض الحائط بملاحظات آمي .

وقد راعت في ثوبها أن يكون ارستقراطي الطابع ، وان لم يـدل على

غنى ملموس .

ولم تفاجأ ماتيلدا بما وقعت عليه عيناها ، لقد حدثها ستافورد بالكثير عما رآه ، وعن هذه المرأة التي في ضخامة الحوت وقد جلست في مقعدها بتلك الغرفة المزدانة بلوحات تساوي ثروة طائلة .

ونهضت المضيفة عن مقعدها الشبيه بالعرش ، تستقبل الضيفة قائلة :

– ماتيلدا !

– شارلوت

– بعد كل هذه الأعوام ، يا للعجب !

وتبادلتا عبارات الترحيب والسرور باللقاء ، وعـــادت ليدي ماتيلدا بذاكرتها الى الماضي لتستعيد منه أن شارلوت كانت فتاة بغيضة ، وانها لم تعرف قط ما اذا كانت شارلوت قد أحبتها أم لا .

* * *

واستعادتا معاً ذكريات الماضي البعيد ، وما كانتا تفعلانه مع زميلات الدراسة ، وما تم من زيجات البعض منهن .

وحمل الخدم أقداح القهوة وصحاف الفطائر والكعك ، وانـــبرت ليدي ماتيلدا تقول :

– لا أستطيع تناول شيء من هذه ، ان أوامر طبيبي قاطعة ، ولقد أشار علي بالتزام قواعد الاستشفاء، غير انه يمكن اعتبار يومنا هذا يوم عيد ، أليس كذلك ؟ عيد تجديد الشباب ، وقد علمت من ابن أخي الأصغر الذي قـــام بزيارتك منذ فترة غير بعيدة، ولقد نسيت اسم من جاءت به الى هنا ان اسمها يبدأ بحرف « ز » .

– الكونتيس زركوفسكي .

– نعم ، هذا هو اسمها ، انها امرأة ساحرة ، وقد جاءت به لزيارتك ، لقد سر كثيراً بهذه الزيارة وكان لكل ما شاهده أثر عميق في نفسه ، وكان في مقدمة هذا كله ، ذاك الجمع من الشباب الذهبي الجميل انهم يعبدونك ، يا لها من حياة !

– انني اذكر ابن اخيك هذا ، انه من السلك الدبلوماسي .

قالت ليدي ماتيلدا :

– أجل ، وقد كان حظه عاثراً ، انهم لا يقدرونه حق قدره ، إن الحياة قد تغيرت ، ولم تعد الأمور تجري كما كانت تجري من قبل ، انه ليس موضع ثقتهم .

– تعنين انه ليس على وفاق معهم ، مع أولي الأمر ؟

– إن لستافورد آراءه الخاصة ونظرياته في الحياة ، وهو غير راض عن أساليب من بيدهم مقاليد الأمور . وقد بدا لي انه تأثر إلى حد كبير بما حدثته به أو أطلعته عليه انه جد معجب بمبادئك وبما تهدفين اليه من إصلاح ..

– يجب أن يكون هناك جنس سام ، ولقد كان أدولف هتلر على حق ، وليس من شك في أنه كان زعيماً موهوباً .

– إننا بحاجة إلى زعامة قوية بشرط ألا تورط في الأخطاء .

– إن آمالنا معقودة على الشباب . فالشباب هم القوة . والشباب هم القلوب الجريئة القوية . والشباب هم الآراء الجديدة الدافعة لعجلة الحياة ، والشباب إلى جانب هذا كله هم المستقبل . إننا نعد العدة لمثل هذا المستقبل ونعمل على تزويد الشباب بكل الامكانيات ، وفي عالم مثل هذا ستتاح الفرصة لمن هم على شاكلة ابن أخيك ..

إن شعارنا هو « النصر للشباب »

ولم يكن في مقدور ليدي ماتيلدا سوى أن تصغي وتومي برأسها مجاراة لصديقتها فيما تقول ..

وقالت لها آمي وهما في طريقهما إلى جناحيهما بالمصحة :

- أرجو أن تكوني قد استمتعت بهذا اللقاء .

فعقبت ليدي ماتيلدا اكليكهيتون بقولها :

- لو قدر لك أن تستمعي لما استمعت اليه من هراء في اصغاء تام وموافقة ومجاراة لصديقتي ، لتملكك العجب ، ولما صدقت أذنيك .

- ١٦ -

قال الكولونيل بايكواي وهو يزيل رماد سيجاره عن معطفه :

– إن الأنباء الواردة من فرنسا في غاية السوء ، وهذا ما قاله تشرشل صراحة في الحرب الماضية ، ولقد كان لصراحة الرجل وشجاعته تأثيرهما العميق ، وعلى غرار هذه المكاشفة ، أعيد ترديد هذا القول الآن ، إن الأنباء الواردة من فرنسا بالغة السوء .

وبعد أن سعل ، وأزال ما استجد من رماد سيجاره المتساقط فوق معطفه تابع قائلاً :

– وأخبار ايطاليا سيئة جداً هي الأخرى ، ولا استبعد ان تكون اخبار روسيا كذلك ، لو تيسر لنا أن نعرف عنها شيئاً ان الطلبة لا يقلون نشاطاً فيها عن غيرها . وأخبار الأردن والقدس وسوريا ، والأرجنتين ، عاطلة غير مطمئنة . وفي البلاد الأخيرة ، وفي غيرها من بلاد امريكا الجنوبية جماعة تطلق على نفسها « اتحاد الشباب الذهبي » ، أو شيئاً من هذا القبيل ، ولهذه الجماعة جيش ايضاً . جيش مسلح تسليحاً تاماً .. وله قيادته ، وتتوسل هذه الجماعة بالأغنيات الشبابية والأناشيد الموجهة لاجتذاب الشباب ..

وبعد فترة توقف وجيزة واصل حديثه قائلاً :

ولقد سمعت بأن لهذه الجماعة خط نشاط معين في الدول المتحضرة ، يبدأ من هنا ، والمظاهرات التي تنتشر في البلاد من حين لآخر ، خير دليل على ذلك !

وتوقف ثانية ، ليتطلع إلى الرجل الجالس أمامه مستطرداً :

- انه لأمر مؤسف أن تبلغ الأخبار هذا الحد من السوء ، إن الفوضى يستشري أمرها في العالم قاطبة . ونحن في طريقنا إلى ذروتها !

- الا يمكن اتخاذ خطوات ازاء هذه الظاهرة الخطيرة ؟

- ليس بهذه السهولة التي قد تبدو لك ان القنابل المسيلة للدموع تضع حداً مؤقتاً لمثل هذه الاضطرابات . أما ما عدا ذلك بن اسلحة فتاكة فلا يمكن الاقدام على استعماله . ومهما يكن من أمر ، فإنه يلوح لي ، أن لديك أخبار جديدة من المانية ، من الهر شبايس شخصياً .. اليس كذلك ؟

- وكيف عرفت ؟ من المفروض أن ..

- إننا نحيط علماً بكل شيء هنا فهذا عملنا . ولقد أحضر الشبايس معه طبيباً كما علمت !

- اجل دكتور ريخارد قمة بين العلماء ، انه طبيب نفساني ، واسوف يعهد اليه بفحص حالات معينة .

فعقب جورج باكهام قائلاً :

- يجب أن نضع في حسابنا مناحي الفكر الحديث اعني انني ارجو .. الحق انني أجد صعوبة في التعبير ..

فقال له الكولونيل بايكواي :

- من المزعج حقاً أن يجد الانسان صعوبة في التعبير عما يدور بخلده !

وسمع رنين جرس التليفون

فتناول الكولونيل السماعة .. وأصغى ، ثم مد يده بالسماعة الى السير

جورج . الذي تحدث قائلاً :

- نعم ؟ اجل ؟ أجل .. موافق ، كلا .. كلا .. وزارة الداخلية .. لا تعني بصفة خاصة ، حسناً اعتقد أنه من الأفضل أن ..

وتلفت السير جورج فيما حوله حذراً ..

فقال له الكولونيل بايكواي :

- إنك في أمان هنا .

فتابع السير جورج في صوت هامس قائلاً :

- فلتكن كلمة السر « الدانوب الأزرق » . نعم نعم سأصطحب بايكواي معي . لا تنس أن اجتماعنا سري وله صفة خاصة .

وانبرى بايكواي يقول :

- إذن فمن الأفضل ألا نستقل سيارتي لأنها معروفة للجميع .

- إن هنري هورشام قادم بسيارته الفولكس !

- عظيم .. عظيم جداً !

- ١٧ -

كان هنريك شبايس بادي القلق ، ولم يحاول أن يخفي هذه الحقيقة عن الرجال الخمسة الذين اجتمعوا لمناقشة الموقف الخطير .

غير انه في الوقت نفسه كان يحمل في جعبته ما يعيد الثقة إلى القلوب تطبيقاً لأسلوبه في معالجة الحياة السياسية الشاقة في المانيا .

وكان رجلاً شديد المراس متزن التفكير ، يوحي بالثقة إلى كل من يتصل به .

ومع ذلك ، فقد كان يحرص على ألا يوحي لمن يتصل به بأنه رجل متوقد الذكاء ، وهذه الخلة بالذات تضاعف من الثقة فيه .

إن معظم رجال السياسة في العالم ، مسؤولون عما تتعرض له الدول من ازمـــات ، على الرغم مما يتحدث به الناس عن ذكائهم وصفاتهم الذهنية الممتازة ..

ويبدأ المستشار الالماني حديثه بقوله

– إن زيارتي ليس لها طابع رسمي بصورة أو بأخرى ، الأمر الذي يعد متفقاً عليه بيننا .

– هذا أمر مفهوم .

– لقد تجمع لدي من المعلومات ما رأيت من الضروري أن أشرككم معي في

الاحاطة به . وهي معلومات تلقي ضوءاً على بعض الأحداث التي سببت لنا الحيرة والأسى معاً . اسمحوا لي أولاً بأن أقدم لكم الدكتور ريخارد .

وتم التعارف بين الحاضرين ، الذين رأوا في الدكتور ريخارد رجلاً ترتاح العين لمرآه .

وتابع الهر شبايس قائلاً :

– إن الدكتور ريخارد يتولى معالجة الحالات العقلية في مؤسسة كبيرة على مقربة من كارلزوره ، ويبلغ عدد مرضاه ما بين خمسمائة وستماية . اليس كذلك ؟

فأجاب الدكتور ريخارد

– هو ذلك .

– ومن المفروض ان هذه الحالات مختلفة متباينة ؟

أجل ، لدي أكثر من نوع من هذه الأمراض ، وإن كنت اهتم اهتماماً خاصاً بنوع معين منها .

ثم راح يواصل حديثه بالالمانية وبعد أن فرغ من إيضاحه ، عقب الهر شبايس على حديثه قائلاً :

– يقول الدكتور ريخارد أن هذا المرض العقلي المعين يمكن تسميته «بجنون العظمة» . إذ يعتقد المرء تحت تأثيره أنه شخص آخر شخص أكثر أهمية من حقيقته . شخص يتوهم انه مضطهد .

فانبرى الدكتور ريخارد معترضاً :

– كلا ! ليس بهذا المعنى على وجه التحديد .. يمكن القول انه شخص يعتقد أنه مغبون . وانه أعلى قدراً مما هو في الواقع .. وانه يجب أن يكون .

– سادتي ، لعلكم فهمتم من تعقيبي ومن إيضاح الدكتور ريخارد حقيقة هذا المرض . دكتور ريخارد . كم يبلغ عدد المرضى في عيادتك ؟

– لقد بلغ الثمانمائة في الفترة التي أتحدث عنها .
– ثمانمائة .. وكل منهم يرى في نفسه انه إله عظيم !
فانبرى لازنباي معقباً :
– انه لحديث مثير ..

– ومنهم من يعتقد أنه المسيح . او انه أدولف هتلر . ويبلغ عدد هؤلاء خمسة وعشرين بينهم خمسة عشر يعتقدون انهم نابليون . إلى آخر قـــائمة الشخصيات التاريخية مثل موسوليني ، ويوليوس قيصر ، وغيرهمـــا . وهي حالات لا تبلغ من الأهمية مثل هذه الحالة التي سأعرضها عليكم .

وواصل الهر شبايس الترجمة ..

وتابع الدكتور ريخارد حديثه قال :

– وحدث أن جاء لزيارته ، في يوم ما .. أحد موظفي الحكومة ، وكان من الشخصيات التي يشار اليها بالبنان حينذاك – كان هذا أبان الحرب ، لا تنسوا ذلك ولنطلق عليه مؤقتاً اسم مارتن ب . وسوف تدركون من عساه ان يكون !

وقد اصطحب الموظف معه رئيسه .. الذي هو في الواقع ادولف هتلر شخصياً ..

وبعد أن أطرق الطبيب قليلاً ..

اكمل حديثه :

– وكانت زيارته شرفاً كبيراً لنا ، وقد أثنى علي وعلى جهودي ، وقال لي أن ثمة بعض المتاعب في الجيش ، وانه يوجد من بين أفراده من يرى في نفسه انه نابليون .

وآخرون يعتقدون انهم من مـــارشالاته فيصدرون الاوامر العسكرية ، ويسببون الكثير من المتاعب . وكان يسعدني أن أزوده بما يشاء من معلومات قد يفيد منها . غير أن مارتن ب الذي كان يرافقه قال ان هذا ليس ضرورياً

وقال هتلر انه من الافضل أيفاد اطباء اخصائيين في أعصاب المخ لفحص هذه الحالات .

وأبدى رغبته في القيام بجولة في المصحة وبدا لي انه كان مهتماً بما يشاهد وانه كان يجد فيما رأى ما رفه عنه ، وكان يستفسر مني عن بعض الامور . وأخبره ماروب بأن بين المرضى من يرى في نفسه انه ادولف هتلر . ولما زدته ايضاحاً عن دوافع هذه الحالات المرضية ، رأيته راضياً عن تشخيصي الطبي . .

وأبدى الفوهرر رغبته في الاجتماع ببعضهم . وقال ماروب ان الفوهرر يريد الاجتماع بهم في غير حضوري . فغادرت الغرفة ، وبعد سبع دقـائق من الاجتماع بمن دعوناهم من هؤلاء المرضى ، اسرع الهر هتلر ورفيقـه بالانصراف .

وبعد فترة صمت خيم فيها السكون على القاعة انبرى الكولونيل بايكواي متسائلاً :

- وهل حدث بعد ذلك ما هو جدير بالذكر ؟

قال الطبيب :

– حدث ان سلوك احد المرضى بمظمة هتلر غير عادي وكان بين هذا الرجل وبين أدولف هتلر شبه غريب ، مما ضاعف من النزعة المرضيـة المتسلطة عليه .

ولاحظت انه أصبح اكثر تمسكاً بأنه الفوهرر لحماً ودماً ، وانه يجب أن يتوجه فوراً إلى برلين ليرأس مجلساً لاركان الحرب وكبار القـادة كما لاحظت بعض التغيير في شخصية المريض عن ذي قبل .

وطبت خاطراً حينما اقبلت اسرته بعد يومين للعودة بـه إلى منزله حيث قرروا أن يتولوا علاجه هناك .

وقد وافقت على طلبهم إذ كان في صحبتهم طبيب أخذ على عاتقـه

الاشراف على علاجه .

– يبدو أن للهر شبايس وجهة نظر .

فأسرع هر شبايس موضحاً :

– ليست بوجهة نظر ، إنها حقيقة واقعة ، ولقد عمد الروس ، كما عمدنا إلى إخفائها . وثمة أكثر من دليل على قيامها . وهذه الحقيقة هي أن هتلر ، الفوهرر ، قد تخلف في المصحة بمحض إرادته في ذلك اليوم. وان الرجل الذي يشبه هتلر الحقيقي غادرها برفقة مارتن ب . وجثة هذا المريض هي التي عثر عليها فيما بعد في المخبأ .. ولست أجد داعياً للدخول فيما عـدا هـذا من تفصيلات .

فقال لازنباي :

– يجب أن نعرف الحقيقة .

– اما الفوهرر الحقيقي فقد تم تهريبه إلى الارجنتين حيث أقـام لبضعة أعوام . وكان له ولد هناك من فتاة آرية جميلة من أسرة عريقة . والبعض يزعم انها انجليزية .. وهناك ساءت حالة هتلر العقلية .. إلى أن قضى نحبه مجنوناً ، معتقداً انه يقود جيوشه في الميدان . وكانت تلك هي الخطة الوحيـدة التي يسرت له سبيل الهرب من المانيا . والتي تمت بموافقته .

– ومع ذلك فلم يتسرب شيء ينم عما حدث ؟

– كانت هنالك إشاعات . مجرد إشاعات كما هي العادة اشاعات كتلك التي ترددت حول احدى كريمات قيصر روسيا من القتل .

فانبرى جورج باكهام قائلا :

– ولكن هذا كان مجرد ادعاء باطل .

– في اعتقاد البعض فقط . ولكن آخرين كانوا يؤمنون بصحته ؛ فأي الجانبين كان على حق ؟ انها الاشاعات ؟ ولقد سمعنا الكثير عن ان هتلر حياً يرزق .. وعلى الرغم مما قيل عن ان الجثة التي وجدت بالمخبـأ كانت لهتلر ؛

فإنه لم يقم دليل على صدق هذا القول .

- هل نفهم من هذا يا دكتور ريخارد انك تؤيد هذه القصة ؟

- لقد حدثتكم بما حدث ، كان مارتن ب هو من قدم لزيارة مصحتي ، وكان مارتن ب من أقبل وفي صحبته الفوهرر ، وكان مارتن ب من عامله على انه الزعيم .

ومن كان يتحدث اليه بما يجب من احترام وتوقير .

أما أنا ، فقد قدر لي أن أعاشر مئات من الفوهرر ، ونابليون ، ويوليوس قيصر وجدير بالذكر انه لم يسبق لي أن التقيت بهتلر أو حظيت بالاجتماع به شخصياً .

ثم كانت هذه الزيارة التي أبدى فيها هتلر رغبته في الاجتماع على انفراد ببعض من حلا لهم أن يتقمصوا شخصيته ، وقد حققت له رغبته ، أو صدعت بما أمرني به .

وجدير بالذكر أيضاً أن الكثرة ممن كان يخيل اليهم أنهم أدولف هتلر ، كانوا يصرون على محاكاته في كل شيء ، بما في ذلك ثيابه .

كما انه كان هنالك هذا الرجل المريض الذي يشبهه إلى حد بعيد ، وما أظن أن بي حاجة لاعادة سرد ما حدث في ذلك اليوم .

وغني عن البيان أن البديل ما كان له سوى أن يرحب بهذه الفرصة التي واتته ليحتل مكان هتلر الحقيقي ، بناء على هذه العقيدة المتأصلة في نفسه هذا هو ما حدث وهذا هو تصويري الحقيقي له .

فقال وزير الداخلية معقباً :

- إنها لقصة غريبة أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة !

فأردف الهر شبايس قائلاً :

- إن الغرائب كثيراً تحدث في الحياة وفي التاريخ .

- ألم يساور الشك أحداً فيما حدث ؟

– لقد كان التخطيط محكماً ، مما لم يدع لريبة أو شك ، كما ان من قاموا على وضع الخطة قد حرصوا على كتمانها بحيث ضمنوها بالقضاء على بعض من اشتركوا في تنفيذها خشية تسرب شيء منها .

إن الموت هو أيسر سبيل لاطباق شفتي من يحتفظ بسر خطير .

ولم يكن القائمون على مثل هذه الأمور في المانيا ليتحرجوا عن شيء من هذا القبيل ، وكانت لهم خبرة بتدبير أمر المعقبات والعواقب .

وعلى الرغم من هذا الحرص ، فقد ثبت لدينا من بعض الوثائق والأدلة ان الخطة نفذت على الوجه الذي سبق إيضاحه ، وان هتلر قد وصل الى أمريكا الجنوبية . حيث عقد زواجه وأنجب مولوداً ، ثم وشمه في قدمه بالصليب المعقوف ..

واقد التقيت بعملاء لنا من الموثوق فيهم . شاهدوا هذا الوشم بقدم الطفل المذكور .

وهنالك نشأ هذا الطفل وأعد للمستقبل ومن هنـا نبتت فكرة الشباب الجديد . إنها فكرة أعم وأشمل . فكرة تضم شباب مختلف الدول تستهدف القضاء على كل قديم ، مستهينة بكل المقدسات ، بما في ذلك الحياة الانسانية في سبيل بلوغ غايتها .

ولهذا الشباب ، أو لتلك الجماعة ، زعيمهم الذي تجري في عروقه دمـــاء أبيه ، وإن لم يشبهه ، لأنه أقرب شبهاً بأمه .

انه صبي ذهبي الشعر مقبول الشكل وهو من يطلقون عليه اسم سيجفريد الشاب ، وقد حرصوا على تنشئته بحيث يمكن أن يصبح زعيماً لهم يقودهم إلى أرضهم الموعودة .

وكان تعقيب مستر لازنباي :

– هراء .. هراء ! يجب ان يقضي عليه قبل أن يستفحل أمره .

فأردف الهر شبايس قائلا :

– إنهم لا يكادون أن يدركوا من أمرهم شيئاً ، إنهم لا يعرفون إلى أين هم مسوقون ، انهم مندفعون وقد اعمـــاهم ايمانهم عن مصيرهم ، انهم شباب يتفجرون حماساً ، لا يكاد يتبين موضع اقدامه .

لقد لقنوا مبادىء هتلر وأشربوا قسوته ، مستهينين بكل شيء في سبيـــل المضي قدماً تحت لواء سيجفريد الشاب . هذا ما عرفناه عنهم في بلادنا ، فماذا عنكم أنتم ؟

- لا يعلم منا بهذا سوى أربعة أو خمسة على الأرجح .

– إنهم يعلمون بهذه الظاهرة في روسيا ، وكذلك في أمريكا فهم يعرفون ان ثمة أتباعاً للبطل الشاب ، سيجفريد ، الذي يمثل الفايكنجز آلهـة الشمال وأبطال الأساطير الاسكندنافية .

غير أننا يجب ألا نغفل أمر هؤلاء الذين يدفعون بهذه العجلة إلى الأمام ، من الرجال ذوي العقول الجبارة ، ومن كبار المـــاليين ، ورجال الصناعة ، وغيرهم من علماء وهؤلاء جميعاً يشتركون في السيطرة على تلك الجماعة ، وعلى مصادر القوة منها .

ويقال أن سطوتهم بلغت حداً جعل من هؤلاء الشباب عبيـــداً لهم .. ولقد كانت وسيلتهم في ذلك ، المخدرات التي تجعل من يتعاطاهـــا عبداً خاضعاً لها !

إن المخدرات لا تدانيها رذيلة في عواقبها السيئة على المرء لأنها تنتهي به الى إهدار آدميته !

فعقب وزير الداخلية بقوله :

– وهل سنقف من هذه الظاهرة الخطيرة مكتوفي الأيدي ؟ اليس اولى بنا أن نتخذ من الاجراءات الصارمة ما يضع حداً لها ..

فقاطعه رئيس الوزراء قائلاً :

– لا زلت أعتقد ان الوسيلة لمعالجة هذه الظاهرة هي في تعـــاوننا مع

الروس لوضع أسس مقاومتها ودفع شرها ، خاصة وانهم يحيطون علماً بهذه الحقائق .

فقال شبايس :

ـ أجل ، انهم يحيطون علماً بما فيه الكفاية . ولكن، هل تراهم سيعترفون بذلك ، ان سياستهم دائماً يكتنفها الغموض ، علاوة على متاعبهم مع الصين . ثم انهم قد لا يتوقعون من هذه الحركة ما نتوقعه نحن من شر مستطير .

فقال لازنباي :

ـ أظن ان الخطة المثلى هي ان اطير بنفسي إلى روسيا .

وفي صوت هادىء تحدث اللورد التامونت قائلا :

ـ سيدريك ، إننا بحاجة ماسة اليك هنا ، انك رئيس حكومتنا، ولدينا من الموثوق بهم كثيرون يمكن إيفادهم في مثل هذه المهمة .

وانبرى السير جورج باكهام متسائلا :

ـ ومن تراه يصلح لمثل هذه المهام ؟ لعل هورشام خير من يحدثنا في هذا الشأن ؟

فأجاب هنري هورشام في هدوء :

ـ لدينا تجربة ممتازة من العملاء تأتيك بما لم يكن يطرأ لك على بال من معلومات ، وإن ما ادلى به الهر شبايس من معلومات لم يحصل عليه إلا عن طريق عملاء له . إن تسعة اعشار ما يحمله الينا العملاء من تقارير صحيح .

فقال لازنباري في لهجة قاطعة :

ـ دعونا من هذا الحديث عن المعلومات وعن جديتها من عدمها ولننتقل إلى الحديث عن كيفية مواجهة هذه الأزمة العالمية . ويجب ان تتخذ القرارات في اجتماعات للقمة لايجاد مخرج منها .

ـ سيدي ، يجب ان نضع نصب أعيننا إن هذه الحركة ليست كحركات الطلبة العادية إن جيش الشباب يقف من ورائه جيش من العلماء والبيولوجيين

والكيمائيين ، علاوة على من يمدونه بالسلاح ، والمال والمخدرات التي تفقد افراده الارادة ، إن وراء الأكمة ما وراءها .

وتلفت سيدريك لازنباي يميناً ويساراً إلى ممثلي القوات البرية والبحرية والجوية وقال :

– لقد بلغ الموقف حد الهاوية . شيتويند ، مونرو ، بلانت ؟

ولفرط دهشة لازنباي ، كان الأميرال بلانت هو الوحيد الذي استجاب له قال : –

– لست أدري ما هو وضع الأميرالية من ذلك ، وخير ما أشير به هو استعراض الموقف بدقه تامة .. ومراجعة المعلومات جيداً قبل اتخاذ قرار .

- ١٨ -

انفض الاجتماع على ذلك ، واستقر رأي المجتمعين على إعادة النظر بصفة حاسمة فيما يتخذ من إجراءات .

واتجه كل من المستشار الالماني ورئيس الوزراء ، والسير جورج باكهام ، وجوردون شيتويند ، والدكتور ريخارد إلى داوننج ستريت لتناول طعام الغداء ..

أما الادميرال بلانت ، والكولونيل مونرو ، والكولونيل بايكواي ، وهنري هورشام فقد تخلفوا ليواصلوا مناقشاتهم بحرية اكثر في غياب الأولين .

وانبرى الكولونيل بايكواي قائلا :

– حمداً لله على ان اصطحبوا معهم جورج باكهام .. انه يثير أعصابي .

وأردف الكولونيل مونرو قائلا :

– سيدي الأميرال ، كان ينبغي أن تذهب معهم . فلست أرى أن جوردون شيتويند أو جورج باكهام بالقادرين على الحيلولة دون سفر سيدريك إلى روسيا ، او إلى الصين او إلى أثيوبيا . أو إلى الأرجنتين او إلى أي مكان آخر يحلو له .

وتطلع الأميرال إلى الكولونيل بايكواي في فضول متسائلا :

- ما هو الانطباع الذي خلفته قصة هتلر في نفسك ؟ أتراك فوجئت بها ؟

- لم تكن هذه القصة هي الأولى التي سمعنا بها في غمرة الاشاعات ، وهي قد تكون صحيحة وقد لا تكون ، في مثل هذه الأحوال تكثر مثل هـذه الاشاعات وتنتشر .

إن الجثة التي عثر عليها الروس في المخبأ لم يتعرف عليها أحد بصفـــة قاطعة ..

ونهض الأميرال مستأذناً في الانصراف

وقال مونرو :

- أعتقد أن الدكتور ريخارد يعرف الحقيقة ، وإن كان قـد حرص على عدم الجزم بذلك أمامنا .

واستدار الأميرال وهو يمسك بقبضة الباب قائلا :

- وماذا عن الأعجوبة ذي الشعر الذهبي ؟ ابن هتلر ؟

فقال بايكواي معقباً :

- لا عليك منه .

فعـاد الأميرال أدراجه ليستـأنف مجلسه بينهم ، وليستمع إلى بايكواي الذي قال :

- اراهن على ان هتلر لم يكن له ولد في يوم ما .

- انك لا يمكن أن تجزم بذلك .

- بل انني جد واثق ممـــا اقول ، ان هذا الفرانز جوزيف أو سيجفريد الشاب ، الزعيم المؤله ليس بأكثر من اكذوبة وخدعة . انه ابن تاجر ارجنتيني وفتاة جميلة شقراء . كانت مغنية اوبرا المانية من الدرجة الثالثة - وقد ورث الابن طلعته الجميلة من والدته ولقد أحسن اختياره للدور الذي يؤديه ، وكان هذا الشاب في مطلع صباه ممثلا محترفاً ، وحرصوا على وشم قدمه بالصليب المعقوف انتقاماً لقريتهم .

- وهل لديك دليل عما تقول ؟

فابتسم بايكواي مجيباً :

- دليل قاطع حصل عليه واحد من خيرة عملائي ، إنهـــا وثيقة تتضمن اقراراً حاسماً ، وصوراً فوتوغرافية لبيانات موقعاً عليها من الأم ، ومن الطبيب عن تاريخ عملية الوشم ، وصورة طبق الأصل من شهادة ميلاد كارل اجيليروس ودليل موقع عليه على انه هو المدعو فرانز جوزيف ، هذا ما استطاع عميلي أن يحصل عليه .

- وأين توجد هذه الوثائق الآن ؟

- في مكان أمين ، في انتظار استعمالها في اللحظة المناسبة .

- وهل تعرف الحكومة هذا ؟ أو هل يعرف رئيس الوزراء على الأقل ؟

- لقد دأبت في عملي على عدم إحاطة السياسيين علماً بكل ما لدي من معلومات قبل أن أتأكد من انهم سيتخذون الخطوات الصحيحة .

فقال مونرو

- إنك لشيطان عجوز يا بايكواي .

فقال بايكواي في حزن :

- هذا لا بد منه أحياناً .

- ١٩ -

كان لدى السير ستافورد ناي بعض الضيوف يقوم على اكرام وفادتهم ، ولم يكن قد سبق له معرفتهم .

وكان مرآهم في الجملة يسر الناظرين .

راح يتساءل ، ماذا يريد ضيوفه منه وكان يعرف أن أحدهم ابن لأحد ملوك البترول .

والثاني ممن انصرفوا إلى العمل السياسي بعد تخرجه في الجامعة ، والثالث شاب غريب الأطوار ، يبدو الشك في عينيه وحركاته .

وبادره الشاب الأشقر الذي يبدو انه زعيم الثلاثة قائلا :

- إننا نشكر لك موافقتك على استقبالنا يا سير ستافورد .

وكان لنبرات صوته وقع جميل على السمع ، وكان اسمه كليفورد بنت ، وقد قام بتقديم زميليه قال :

- هذا هورو ريك كتلي وهذا جيم بروستول ، اننا جميعاً قلقون من أجل المستقبل ، ترى هل أحسنت التعبير ؟

كانوا جميعاً من الشباب وعلى جانب كبير من الوسامة والذكاء .

فقال ناي :

- أعتقد ان أحسن تعقيب على ذلك هو أن هذا شأننا جميعاً .

وعقب كليفورد بنت بقوله :

- إننا غير راضين عن مجريات الأمور . التمرد والفوضى وكل ما هو من هذا القبيل . إن هذه الامور لا بأس بها كنظريات فلسفية .. وبصراحة ، فإنني أرى انه يمكن للقول انه يبدو وكأننا نمضي في طور لنجتازه إلى آخر لا يفترق عنه كثيراً ..

إننا نريد للشباب القدرة على متابعة حياتهم الاكاديمية دون توقف ، إننا نريد مظاهرات سلمية تكون بعيدة عن التهريج والعنف . مظاهرات واعية مدركة .

وفي الحق أن ما نريده بصراحة ، هو حزب سياسي جديد ، وجيم بروستر هذا كان له دور في ابتكار نظريات وخطط جديدة تتصل بشؤون نقابات العمال ، ولكنهم حاولوا أن يخذلوه ويسفهوا آراءه ، وإن لم يفت هذا في عضده اليس كذلك يا جيم ؟

فأجاب جيم بروستر :

— إن معظمهم بالغ الحمق ضيق الافق .

فقال بنت :

— إننا نريد سياسة جادة رشيدة للشباب ، وأسلوباً للحكم اكثر اقتصاداً .

إننا نريد تغييراً شاملا في كل نظم الحكم ..

وقصارى القول ، إننا نريد الوسيلة التي نصل بها إلى مقاعد الحكم لنضع كل هذه الاماني والآمال موضع التنفيذ .

إن معنا الكثيرين ممن انضموا لحركتنا ، ونحن نمثل الشبـاب بنفس القوة التي يعمل بها دعاة العنف .

إننا نمثل الآراء المعتدلة والحركة السلمية ، والعمل الرصين ، وقد جئنـا نعرض عليك أهدافنا ، لعلها تحظى بعنايتك ، ولقد وقع اختيارنا عليك لاننا سمعنا عنك ما شجعنا على ذلك .

فعقب السير ستافورد بقوله :

- ألا ترى ان فيما تقوله وتعرضه علي ما يجافي الصواب ؟ إن مـا تعرضه علي ضرب من عدم الولاء .

- اننا لا نعرض عليك الانضمام لبلد آخر .

- كلا . كلا .. ليس هـذا ما أعنيـه على وجه التحديـد ، ولكنني أعتقد أن لهذه الدعوة صلة ببعض الاهتمامات الاجنبية ، انني عائد للتو من الخارج ، وكانت رحلة مشوقة ، ولقد قضيت الاسابيع الثلاثة الاخيرة في امريكا الجنوبية ، وثمة ما أحب أن أحيطكم به علماً ، لقد شعرت منذ عودتي إلى انجلترا بأن ثمة من يتعقبني .

- ثمة من يتعقبك ؟ لعله قد خيل اليك هذا ؟

- كلا ، أنا واثق من ذلك ومن هنا كنت أفضل ان يكون لقـاؤنا في مكان آخر غير منزلي ، إن الانسان يجب أن يكون أكثر حذراً في أيامنـا هذه ، لقد تعلمت كثيراً في حياتي العملية ، وشهدت الكثير .. ولنعد إلى ما كنـا فيه من حديث .. إن امريكا الجنوبيـة منطقة من العالم لها أهميتهـا القصوى ..

ونهض ستافورد ناي .. يفتح أحد الادراج ، ويخرج منه جهاز تسجيل قائلا :

- إنني حديث العهد بعملية التسجيل .

وبدأ يسمع الحاضرين لحناً .

وتبين أن البعض منهم يصغي في انتباه ..

فابتسم قائلا :

- أرى انكم تشاركونني الاستمتاع بموسيقى فاغنر ، لقد عزف هذا اللحن في مهرجان الشباب هذا العام حيث استمتعت بموسيقاه .

- انه لحن من اوبرا .

ـ انه نداء النفير لبطل شاب

وأردف ستافورد تاي وهو يرفع ذراعه ويمد يده إلى الامام بالتحيـــة الهتلرية المشهورة :

ـ سيجفريد الجديد !

ونهض الضيوف الثلاثة وقوفاً .

وقال كليفورد بنت :

ـ انك لعلى صواب ، يجب علينا جميعاً أن نتوخى جانب الحذر .

ثم صافحه راستطرد قائلاً :

ـ يسرنا أن تنضم الينا ، إن ما سوف تحتاج اليه هذه البلاد مستقبلاً ، هو وزير خارجية من الدرجة الأولى .

وغادروا الغرفة منصرفين ..

ووقف السير ستافورد تاي يودعهم بنظراته من فرجة الباب إلى أن استقلوا المصعد .

ثم ابتسم وهو يوصد الباب ، وعاد يسترخي في أحد المقاعد ـ في الانتظار ـ بعد أن ألقى نظرة على ساعة الحائط .

وعادت به الذاكرة إلى مثل هذا اليوم ، منذ أسبوع مضى ، حينما افترق هو وماري آن ، في مطار كنيدي بامريكا ومضيا كل في طريق .

وكانا قد وقفا هناك وقد ارتج عليهما القول ، وكان هو اول من قطع حبل الصمت ، قال :

ـ هل تعتقدين انه سيقدر لنا أن نلتقي ثانية ؟

ـ وهل ثمة ما يحول دون ذلك ؟

ـ كثير فيما أعتقد .

فتطلعت اليه ..

ثم أشاحت عنه بوجهها قائلة :

- هذا الفراق يجب أن يحدث ، إنه جزء من عملنا .

- العمل ! هذا العمل الذي يحتل كل تفكيرك .

- هذا ما يجب أن يكون .

- إنك محترفة . أما أنا ، فإنني من الهواة ، من أنت ؟ من عساك أن تكوني ؟ انني لا أعرف شيئاً عنك .

ونظر اليها ورأى الأسى في وجهها ، الأسى البالغ حد الألم :

- اوترين مع ذلك انه ينبغي لي أن أثق بك ؟

- كلا ، وهذا ما علمتني إياه الحياة ، فلا يوجد ذاك الشخص الذي يمكن أن نوليه ثقتنا ولنتذكر هذا دائماً .

- إذن ، فهذا هو عالمك ؟ عالم من الشك والخوف والمخاطرة .

- إن كل ما أرجوه أن أظل على قيد الحياة .

- أدرك هذا .

- كما أريد لك أن تبقى على قيد الحياة .

- لقد أوليتك ثقتي في فرانكفورت ..

- ولقد خاطرت بذلك .

- كانت مخاطرة تساوي الكثير ، إنك تدركين هذا جيداً .

- تعني لأن

- أعني لأنها أتاحت لنا أن نقضي فترة معاً ، والآن .. ها هم يعلنون رقم طائرتي . أو قدر لزمالتنا التي بدأت في احد المطارات ان تنتهي هنا في مطار آخر ؟ إلى أين أنت ذاهبة ؟ وماذا أنت فاعلة ؟

- سأذهب إلى بلتيمور ، وواشنطن وتكساس .. لأقوم بما عهد إلي القيام به !

- وماذا عني ؟ إنني لم يعهد الي بشيء سوى أن أعود أدراجي إلى لندن فماذا علي أن أفعل هناك ؟

– تنتظر .

– انتظر ماذا ؟

– تنتظر ما ستنكشف عنه الأحداث .

– وبعد ؟

فانفرجت شفتاها عن ابتسامتها المرحة التي عهدها وقالت :

– ثم تقوم بدورك الذي سيمـــلى عليك من أناس سوف يتصلون بك ، ولسوف يحسن اختيارهم ، لأن هذا من الاهمية بمكان .

– علي أن اسرع الآن . وداعاً ماري آن !

وما أن فرغ من استعراض موقف الوداع ، حتى أيقظه رنين الهاتف من تأملاته .. فنهض إلى حيث رفع السماعة ليدوي في أذنه صوت لم يخطئه . قائلا :

– ستافورد ناي ؟

فأجاب بما هو مطلوب منه

– لا دخان بدون نار .

– لقد أشار علي طبيبي بالاقلاع عن التدخين ، هل من أنباء ؟

وكان المتحدث هو الكولونيل بايكواي .

فأجابه ناي

– أجل ، ثلاثون قطعة من الفضة ، تبشر بالكثير ولقد وعدت ..

– بماذا ؟

– لقد أسمعتهم لحناً . لحن نفير سيجفريد . وكنت أعمل بمشورة عمـــة عجوز وقد انتج اللحن أثره .

– لا أكاد أصدق ما اسمع

– هل تعرف أغنية اسمها جوانيتا ؟ يجب ان ألم بهذا اللحن فربما غدوت بحاجة اليه .

– وهل تعرف من عسى أن تكون جوانيتا ؟

– أعتقد هذا .

– عجباً .. لعلك سمعت عنها في بلتيمور أخيراً !

– ماذا عن فتـــاتك اليونانية . دافن تيودروفالوس ؟ ترى أين هي الآن ؟

– جالسة في مطار بمكان ما من أوروبا في انتظارك ، فيما أرجح .

– إن معظم المطارات الاوروبية مغلقة بسبب الاحداث الاخيرة .

- ٢٠ -

بادر الاميرال بلانت الفتاة التي فتحت الباب بقوله :

- لقد خيل الي انكم جميعاً في عالم الاموات .

وكان كلامه موجهاً إلى الفتاة التي لا يذكر سوى اسمها الاول ، آمي والتي ينسى دائما لقبها .

واستطرد قائلا :

- لقد حاولت الاتصال بكم تليفونياً في الاسبوع الماضي اكثر من مرة ، فقيل لي انكم سافرتم إلى الخارج .

- كنا في الخارج فعلا وقد عدنا لتونا .

- ما كان ينبغي لماتيلدا ان تفعل ذلك . ليس في مثل سنها هذه ، إن ركوب الطائرات لا يتفق وارتفاع ضغط الدم او ضعف القلب ؛ ثم ان ركوب الطائرات اصبح غير مأمون العاقبة في ايامنا هذه.

- لقد وافق طبيبها على سفرها .

- هذا هو شأن الاطباء دائماً .

- الواقع ان هذه الرحلة قد أفادتها كثيراً !

- إلى أين سافرت ؟

- إلى المانيا للاستشفاء ، لست ادري على وجه التحديد اكانت المانيا

أو النمسا .

– وهل استمتعتم باقامتكم ؟

– إلى حد ما ، لقد كانت المناظر خلابة ، غير ان !

وهنا دوى صوت من الطابق الاعلى منادياً :

– آمي ، آمي ! ماذا تفعلين ؟ وفيم هذا الحديث الطويـــل في البهو ؟ فليصعد الاميرال بلانت فوراً ، انني في انتظاره .

وبعد ان قام الاميرال بلانت بتحية صديقته القديمة .

قال لها :

– هل تراك تحذين حذو جاليفر في رحلاته؟ الا تعرفين انك تقتلين نفسك بهذه الطريقة ؟

– كلا ، كلا .. لم يعد في السفر مشقة في ايامنا هذه .

– كيف ؟ تلك المطارات ، وهذه السيارات الكبيرة ، وذلك الدرج المتحرك او غير المتحرك ، إن الامر لا يقتصر على ركوب الطائرة فقط .

– كنت استعمل مقعداً متحركاً .

– لقد كنت تزعمين منذ عام او عامين ، انه ليس بك حاجة إلى هـــذا المقعد ..

– دعنا من هذا يا فيليب ، وحدثني عن السبب الذي حدا بك أن تزورني بعد ان انقطعت عن زيارتي لاكثر من عام !

– معذرة لانشغالي عنك ، ثم ان صحتي لم تكن على ما يرام .

فقالت ليدي ماتيلدا :

– ولكنني اراك بخير . فليكن ما الذي جاء بك ؟

وأمرت ليدي ماتيلدا الفتاة آمي بأن تقدم للزائر قدحاً من الشراب . وبعد ان غادرت آمي الغرفة لتنفيذ الامر ..

قال بلانت :

– حينما تعود بالشراب ، عليك أن تتخلصي منها ، لأني أريد أن أتحدث اليك حديثاً خاصاً .

وعادت آمي بالشراب

ونفذت ليدي ماتيلدا ما سألها إياه ضيفها . وبعد أن أغلقت الفتـاة الباب بدأ بلانت حديثه ..

قال لها .

– لقد جئت لاستشارتك

قالت ليدي ماتيلدا :

– في ماذا ؟ في أمر يتصل بصحتك أو في أي من شؤونك الخاصة ؟

– كلا ، إنها استشارة في أمر خطير ، ولقد دار بخلدي انك ربما استطعت أن تستعيدي ذكرى شيء من أجلي .

– يا عزيزي فيليب ، من أين لك هذه الثقة في ذاكرتي ؟ إن التقدم في السن له اثره العميق فيمن بلغ عمري ، انني لم أعد أذكرى سوى أحداث الصبا وأصدقاء الشباب .

– أين كنت ؟

– كنت في زيارة صديقة قديمة لم أرها منذ أربعين أو خمسين عاماً .

قال بلانت :

– من عساها ان تكون ؟

– إنها من اكثر النساء بدانة وأبشعهن خلقاً .

– يا له من ذوق شاذ !

قالت ماتيلد :

– هيا حدثني بما تريد مني أن استعيد ذكراه .

– كنت اتساءل عما إذا كنت تذكرين شيئاً عن صديق يدعى روبرت شورهام .

- روبرت شورهام ؟ بكل تأكيد .

قال بلانت :

- العالم الكبير .

- أجل بكل تأكيد ، إنه من طراز لا يضاهيه المرء ، ترى ما الذي دعاك إلى ذكره .

- موضوع عام .

- عجباً أن أسمع منك ذلك . إن هذا هو عين مـــا دار بخلدي في ذلك اليوم .

- ما الذي دار بخلدك ؟

- انهم في حاجة اليه ، او إلى من هو على شاكلته إن وجد .

- لا يوجد له نظير . ماتيلدا ، اصغي الي .. إنني أريد أن أعرف ما إذا كان روبرت قد تحدث اليك ، أيام كان يستطيع ذلك ، عن شيء يطلق عليه اسم المشروع ب

- المشروع ب يخيل الي انني سمعت بشيء من هذا القبيـــل ، المشروع كذا أو العملية كذا . غير انك يجب أن تعرف انني لم اكن افهم شيئاً من حديثه ، ولكنه كان يجد مسرة فيما يختلج به وجهي من امارات الدهشة .

المشروع ب ؟ أجل .. لقـــد كان هذا منذ فترة طويلة .. وكان جد منفعل به ، ولطالما كنت استفسر منه من حين لآخر عما تم بشأن هذا المشروع .

- كنت واثقاً من قوة ذاكرتك . والآن اريد ان اسمع المزيد مما حدثك به روبي عن المشروع ب .

- قد أجد في هذا مشقة ، لقد ذكر هذا المشروع في معرض حديثه عن عملية تتصل بعقول الناس .. هؤلاء الناس الذين ينظرون إلى ما حولهم بمنظار أسود ، والذين يستبد بهم القنوط إلى حد التفكير في الانتحـــار ، والذين

يعانون من عقد نفسية نتيجة لحالات من النورستانيا الشديدة ، إلى آخر هــذه الظواهر التي تحدث عنها فرويد .

ثم كان يتحدث بعد ذلك بأسلوب علمي يقرنه بتنفيــذ المشروع ب . ولعلك تدرك انه ليس في وسعي ان اعيد سرده على سمعك ، لأني لم اكن افهم منه شيئاً في متابعتي له !

الا تستطيعين ان تذكري طرفاً من هذا الحديث العلمي ؟

— حينما كان يحدثني عن ظاهرة الابتئاس هذه قلت له ، لمــاذا لا ينصرف العلماء إلى اختراع ما يجعل مثل هؤلاء الناس يشعرون بالسعادة ، انه امر لن يستعصي على هؤلاء العلماء .

وكان قد حدثني عن تلك الجراحة في المخ التي يحاولون بها استئصال أسباب الابتئاس والقلق ، وقلت له انه في وسع هؤلاء العلماء ، إذا ما أرادوا أن يتوصلوا إلى اختراع يشيع السعادة في قلوب الناس ويعمــل على استرخاء أعصابهم ، ولم أكن أعني بداهة هذه الأقراص المنومة والمهدئة ، وكان يصغي الي باهتمام مردداً : يا لها من فكرة صائبة .

— وهل هذا هو مضمون مشروع ب .

قالت ماتيلد :

— لست أدري ، لأنه لم يحدثني بتفصيلاته أو بكنهه ، ولا بمــا ينطوي عليه صدره ، لقد كنت أتحدث عن سعادة الناس وما يكفل للجميع الشعور بالبهجة والانشراح . انك تعرف انني لا احب ان اسمع شاكياً او باكياً ، لأني احب الخير للجميع ، لقد تحدث عن المشروع ب كما تحدث عن غيره .. ولقد اختلط الأمر في ذهني .

فسألها الأميرال بلانت :

— هل هذا هو كل ما تذكرينه عن المشروع ب او ما يتصل به ؟

— هذا ما اعتقده ، واذكر اني بعد فترة زمنية اخرى استفسرت منه عما

تم بشأن مشروع ب او (بن) كما سمعته يسميه فيما بعد فقال لي انه وضعه على الرف مؤقتاً .

ثم اقبل متسائلاً في يوم ما عما اذا كنت اذكر مشروع بن ؟ فأجبته بانني اذكر انه نحاه جانباً ..

ثم علمت انه عاد لاحيائه بناء على ما استجد من أسباب مشجعة وخواطر ملحة ..

وراح يتحدث عن تجاربه الجديدة وعن احتمالات النجاح ، كما وردت على لسانه اسماء بعض الأدوية والعقاقير ، ثم لاحظت تردده بين احتمالات المخاطرة واحتمالات النجاح المرتقب . ولعلك اكثر دراية مني بعقلية هؤلاء العلماء وأسلوب تفكيرهم .

– وماذا عن رأي زملائه من العلماء ؟ وما هو الأساس في كلمة « بن » التي يقرنها بالمشروع .

– « بن » اختصار الكلمة التي تعني الخير ، فقد رأى أن يطلق ان كثيرين منهم يعرفون شيئاً عن المشروع كانت تعمل معه في المشروع فتاة نمسوية تدعى ليزا ، وشاب يدعى ليدنتال ولكن هذا الاخير قضى نحبه متأثراً بمرض السل .

اما سائر من كانوا يعاونونه في العمل فليسوا من العلماء ، وهم لا يعرفون شيئاً عما يفعلونه .

واعتقد انه لم يفض إلى احد بسره ، وانه احرق مذكراته قبل ان يقلع عن المضي قدماً في تنفيذ او استكمال مشروعه .

ثم كان ان مرض واصيب بالشلل وهو الآن يقضي حياته في الاستماع إلى الموسيقى .

– اي ان حياته العملية قد انتهت ؟

– نعم وهو يؤثر العزلة عن الناس ويعتذر عن استقبال اصدقائه .

فسأل بلانت :

ـ هل لديك عنوانه ؟

ـ أجل ، انه يقيم في شمال اسكتلندا ، غير انك يجب ألا تنسى أنه اقرب إلى الموت منه إلى الحياة ، انه لم يعد يصلح لشيء .

فقال الاميرال بلانت معقباً :

ـ يجب الا يفقد الانسان الأمل والرجاء ، والايمـــان .. مـا دام على قيد الحياة !

- ٢١ -

كان البروفسور جون جوتليب جالساً في مقعده يحدق النظر في السيدة الجميلة الجالسة امامه .

اما هو فكان دميماً اقرب شبهاً بالقرد منه بالانسان . وقال بعد ان اتى بحركة عصبية :

ـ ان هذا لا يحدث كل يوم ، ان تحمل سيدة شابـة رسالة من رئيس الولايات المتحدة ، ومع ذلك فإن الرؤساء لا يعرفون دائماً ما هم فاعلون .فيم هذا كله ؟ ارى انك مفوضة بجميع السلطات .

ـ لقد جئت لاستفسر منك عما تعرفه عن مشروع يسمى مشروع بينفو وعما إذا كنت تستطيع أن تحدثني بشيء عنه ؟

ـ هل انت حقاً الكونتيس ريناتا زركوفسكي ؟

ـ والمعروفة باسم ماري آن .

ـ هذا صحيح ، وتريدين ان تلمي بمشروع بينفو . حسناً لقد كان هنالك مشروع بهذا الاسم ولقد مات هذا المشروع وقبر ، وقد يكون هذا هو مصير الرجل الذي يرجع اليه الفضل فيه .

ـ تعني البروفسور شورهام ؟

ـ أجل .. روبرت شورهام .. قمة في النبوغ والذكاء . غير انـه

لم يقدر لهذا العالم الفذ طول بقاء .. إن فقده خسارة كبرى للعلم .

فقالت ريناتا :

- ولكنه ما زال على قيد الحياة

- هل انت واثقة مما تقولين ؟ إننا لم نسمع عنه شيئاً ، منذ فترة طويلة ..

- انه مريض ، وهو يقيم في شمال اسكتلندا ، انه مصاب بالفالج ولا يستطيع التحدث بسهولة ، ولا الانتقال من مكانه إلا بصعوبة ؛ وهو يقضي وقته في الإستماع إلى الموسيقى .

- فهمت ويسرني ان سمعت إنه على قيد الحياة ، غير اني ارى مع ذلك انه في حكم العدم .

- إذن ، فقد كان هنالك مشروع بهذا الاسم ؟

- اجل وكان مهتماً به الى اقصى حد .

- وهل تحدث اليك بشأنه ؟

- نعم .. لقد تحدث إلى البعض منا في باكورة ايامه .. هل أنت من العلماء ؟

- كلا اني !

- انت مجرد عميلة ، وارجو ان تكوني موفدة من الفريق المصيب الملتزم بجادة الحق .. ومع ذلك فلست اعتقد انك ستحصلين على شيء من مشروع بيندفور .

فسألت ريناتا :

- ولم لا ؟ ألم تقل انه كان يعمل لتحقيقه ؟ ان هذا المشروع لو تم لصاحبه تنفيذه لكان من الممكن ان يصبح اختراعاً عظيماً .

- اجل ، فلو كان قد تحقق له ذلك ؛ لرأينا فيه اكتشافاً له قدره الكبير في عصرنا هذا .. ولست ادري السبب في توقف خطوات العمل به ؛ وما

صادفه من عثرات ؟ وما هو السر في انصراف شورهام عنـه والاقلاع عن المجاز ما كان بسبيل المجازه وادهى من ذلك انه لم يبق على شيء من مدوناته كما قال لي ..

لقد احرق جميع الاوراق التي بها التركيبات ؛ وبعد ان قام بذلك اصيب بالفالج في مدى ثلاثة اسابيع ؛ هذا هو الواقع ؛ ولذلك تجدينني عاجزاً عن سؤالك . إنني لا اذكر عن المشروع سوى اسمه ؛ وسوى ان كلمة ب ثم بن ثم بينفو ؛ تعني كلمة الخير . هذا هو كل ما اذكره عن هذا المشروع الذي كنت اود ان يتم .

- ٢٢ -

كان اللورد التامونت يقوم بالاملاء ، وبدا صوته الذي كان في يوم من الأيام مدوياً وذا سطوة وجبروت بدا رقيقاً خفيضاً ، هادئاً ، وكأنه طيف من الماضي يختلج عاطفة وتأثراً .

وكان جس كليك يدون الكلمات كما تصدر عن صاحبها ولا يتوقف عن الكتابة إلا في تلك الفترات من التردد والترقب .

قال اللورد التامونت :

- إن المثالية يمكن أن تنهض حينما تثيرها الخصومة الطبيعية للظلم . وهذا هو الانعكاس الطبيعي للمادية المركزية ومثالية الشباب الطبيعية تغذيها على مر الزمن ، تلك الرغبة في القضاء على هذين الوجهين للحياة العصرية ، الظلم والمادية الثقيلة .

والرغبة العارمة في القضاء على كل ما هو شر تؤدي إلى استمراء العنف وايلام الغير وجميع هذه الخصال يمكن ان تقوى وتستشري نتيجة لما يقوم به الغير ممن أوتوا موهبة الزعامة المتسلطة .

وجدير بالذكر أن الجيد من هذه الخصال يمكن ان ينمي ويوجه إلى حب الخير للناس قاطبة . أما الرديء منها وبالذات حب العنف لمجرد العنف فلا يمكن أن يستقيم عوده بل يبقى على حاله الذي جبل عليه .

وفي هذه اللحظة سمع أزيز جهاز الاتصال الداخلي وعلى أثر إيماءة بالموافقة من اللورد رفع جس السماعة ثم قال :

– مستر روبنسون هنا .

– دعه يدخل يمكن ان نستكمل هذا فيما بعد .

ونهض جس تاركاً كراسته وقلمه وأقبل مستر روبنسون ، الذي أعد له جس مقعداً مريحاً وابتسم مستر روبنسون شاكراً ، وهو يتخذ له مجلساً إلى جانب اللورد التامونت الذي بادره قائلاً .

– حسناً . هل جئت بجديد ؟ رسوم هندسية ؟ دوائر ؟

– بل أكثر من ذلك . جئت بتخطيط لمجرى النهر .

– نهر ؟ أي نهر ؟

– نهر من المال . إن المال أشبه ما يكون بالنهر الذي ينبع من مكان ما وينتهي حتماً إلى مكان ما . . إنها أمور بالغة التشويق . هذا إذا كانت تعنيك حقاً ، وهي تحدثنا بالكثير .

وبدا أن جس لا يفهم شيئاً لكن التامونت قال :

– فهمت ، فلتواصل حديثك .

– إنه يتدفق من اسكندناوه ، ومن بافاريا . ومن الولايات المتحدة ، ومن جنوب شرقي آسيا . وتمده روافد أقل شأناً في طريق مجراه .

– وإلى أين المصب ؟

– أساساً إلى أمريكا الجنوبية لسد حاجات القيادة الجديدة للشباب المجاهد المتمثل في أربع من الخمس دوائر التي أطلعت عليها : التسليح والمخدرات ووسائل الحرب العلمية والكيمائية والتمويل ؟

– هل أنت واثق من ذلك ؟

– نعم . ونحن نعتقد اننا قد توصلنا إلى الكشف عمن يسيطر على تلك الهيئات .

وانبرى جمس متسائلاً :
— وماذا عن الدائرة الخامسة ج ، جوانيتا ؟
— لم نستوثق من أمرها بعد .
وعقب اللورد التامونت بقوله :
— إن لجمس وجهة نظر في هذا الموضوع . وأتمنى أن يكون مخطئاً فيما يرى. ان الحرف ج يستدعي الانتباه . أتراه يرمز إلى العدالة ، أم إلى القصاص ؟
فقال جمس:
— إنه يرمز إلى القاتل المكرس لهذه العملية والنساء في هذا المجال أشد فتكاً من الرجال .
وأقره التامونت على وجهة نظره بقوله
— هناك سوابق تاريخية نعرفها كلنا .
فبادره مستر روبنسون بسؤاله :
— أتعتقد أنك تعرف من عساها أن تكون جوانيتا ؟
فرد كليك:
— ربما كنت مخطئاً ، يا سيدي غير ان هناك من الشواهد ما حدا بي إلى الاعتقاد بأنني أعرفها .
قال اللورد:
— من الخير أن تفصح عن رأيك وما يجول في خاطرك يا جمس .
— إنها الكونتس ريناتا زروكوفسكي .
— وما هو دليلك على هذا ؟
— الأماكن التي كانت تتردد عليها ، والناس الذين كانت تتصل بهم وقد كانت تنقلاتها ولقاءاتها أبعد ما تكون عن مجرد صدفة . وقد كانت في بافاريا وهناك قامت بزيارة لشارلوت الضخمـــة وأكثر من ذلك فإنها عمدت إلى اصطحاب ستافورد ناي معها وأرى أن في ذلك خير دليل .

فتساءل التامونت :

- أترى في ذلك دليلاً على اشتراكهما معاً ؟

- لا أود أن أزعم شيئاً من هذا القبيل . إن معلوماتي عنه قاصرة ، وإن كنت .

ثم توقف عما كان بسبيل قوله ، وأردف اللورد التامونت قائلاً :

- نعم ، ثمة شكوك تحوم حوله . لقد كان موقفه مريباً منذ البداية . وكان هذا هو رأي هنري هورشام فيه . وكذلك كولونيل بايكواي ، فيما أظن . وكان ستافورد موضوعاً تحت الملاحظة وربما كان يدرك هذا لأنه ليس بالرجل الفاضل .

وهنا قال مستر روبنسون

- ستافورد ناي تقوده ريناتا أو قل جوانيتا .

قال كليك موضحاً :

- يجب ألا ننسى ما حدث في مطار فرانكفورت . ثم هذه الزيارة لشارلوت وسفره أخيراً معها الى أمريكا الجنوبية . أما هي ، فماذا نعلم عن تحركاتها - وأين هي الآن .

فعقب اللورد التامونت قائلا :

يخيل إلي أن روبنسون يعرف الاجابة عن هـــذا السؤال . أليس كذلك يا مستر روبنسون ؟

- إنها في الولايات المتحدة ، وسمعت انها كانت في شيكاغو ثم في كاليفورنيا ثم سافرت الى حيث قامت بزيارة لأحد العلماء البارزين ، وهذا كان آخر ما سمعته عنها .

- وماذا تبغي من ذلك ؟

- بديهي انها كانت تسعى للحصول على بعض المعلومات .

أية معلومات ؟

-- كان بودي أعرف هذا . قد تكون هذه المعلومات هي ما نسعى نحن للحصول عليه ، ومن يدري أتفعل ذلك لحسابنا أم لحساب الطرف الآخر ؟

ثم اتجه بحديثه إلى اللورد قائلاً :

– انك مسافر الليلة الى اسكتلندا فيما أعلم ؟

-- نعم .

قال كليك :

– لا أوافق على هذه الرحلة يا سيدي ، ان صحتك ليست على ما يرام . والرحلة شاقة بالنسبة اليك ، سواء أكانت جواً او براً . ألا يمكن أن تدع هذه المهمة لمونرو وهورشام ؟

– من العبث ان يركز من هم في مثل سني اهتمامهم في العناية بصحتهم . فما دمت أشعر بأنني قادر على القيام بشيء جاد ، فمن الخير لي أن الفظ أنفاسي وأنا أعمل ، كما يقولون .

والتفت الى روبنسون قائلاً وهو يبتسم :

– يجدر بك أن تصحبنا .

- ٢٣ -

كان قائد الطائرة لا يفتأ يتساءل عما يعنيه هذا كله . ان فيما يشاهده ما يوحي بأن وراء الاكمة ما وراءها . ان قيادة طائرة إلى مكان غير مألوف بمسافرين غير عاديين امر يدعو للتساؤل والحيرة .

انه يعرف بعض المسافرين بهذه الطائرة . ولكنه لا يعرف الباقين . لقد تعرف على لورد التامونت . هذا الرجل العليل الذي ظل على قيد الحياة بفضل قوة إرادته . وهذا الرجل الصقري الوجه الذي يرافقه لا بد انه حارسه الخاص كما تعرف قائد الطائرة على هنري هورشام . رجل الامن والكولونيل مونرو الذي كان يبدو قلقاً .

اما هذا الرجل البدين الأصفر الوجه . فإنه على الارجح اجنبي وقد يكون اسيوياً ! ماذا تراه فاعلا في شمال اسكتلندا .

وكانت هناك سيارة في انتظارهم عند محطة الوصول . واستفسر الكولونيل مونرو عن المسافة بين المطار وبين وجهتهم فعلم بأنها سبعة عشر ميلاً في طريق وعر . وسأل مونرو قائد الطائرة قبل ان يستقلوا السيارة ان يعيد على سمعه ما لديه من اوامر .

وبعد ان اطمأن إلى انه لم يغفل منها شيئاً انطلق هو ورفاقه بالسيارة تاركاً قائد الطائرة في عجب من امر هؤلاء الرجال الذين يتجشمون مشقة السفر

إلى هذه القلعة القديمة التي يقيم بها رجل مريض عاجز .

ومضت السيارة بهم قدماً ، إلى أن توقفت بهم أمام باب الحصن القديم .. وفتح الباب الضخم قبل ان يطرقه احد ، ووجدوا أمامهم إمرأة اسكتلندية تجاوزت الستين من عمرها بوجهها الجاد ونظراتها الصارمة .

وقام كل من هورشام وجمس كليك بمعاونة لورد التامونت على ارتقاء الدرج وتنحت المرأة الاسكتلندية جانباً لتفسح الطريق للقادم الكبير قائلة :

- مساء الخير سيدي اللورد ، إن السيد في انتظارك ، لأنه يعلم بقدومك ولقد أعددنا الغرف اللازمة لكم ، وأوقدنا المدافىء بها .

وفي البهو كانت تقف سيدة فارعة الطول ، قد قاربت الستين من عمرها وكانت محتفظة بآثار جمالها ، معنية بأناقتها ، وقدمتها لهم المرأة الاسكتلندية قائلة :

- هذه هي مس نيومان التي ستتولى العناية بكم ، وتقوم على رعايتكم .

فقالت مس نيومان :

- شكراً جانيت عليك أن تتولي امر نيران المدافىء في الغرف .

- سمعاً وطاعة .

ومد لورد التامونت يده يصافحها قائلاً :

- طاب مساؤك يا مس نيومان .

- طاب مساؤك يا لورد التامونت ، ارجو الا تكون الرحلة قد اتعبتك .

- كان الطيران مريحاً .. هذا هو الكولونيل مونرو ، يا مس نيومان وهذا مستر روبنسون ، والسير جمس كليك والمستر هورشام ، من مصلحة الأمن العام .

- انني اذكر لقائي بمستر هورشام منذ بضعة أعوام .

فعقب هنري هورشام بقوله :

- انني لم انس هذا اللقاء ، لقد تم في مؤسسة ليفسون لقد كنت سكرتيرة البروفسور شورهام حينذاك .

- كنت مساعدته في المعمل ، ثم غدوت سكرتيرته ، وما زلت كذلك ، كما انه بحاجة إلى ممرضة تقوم على رعايته صحياً ، بالتناوب مع غيرها ، ومس اليس هي الموجودة حالياً ، وقد استلمت العمل من مس بيود من يومين ، وقد رأيت أن تكون على مقربة منه ، حين اجتماعكم به •

فسألها مستر مونرو :

- هل ساءت صحته كثيراً

- يمكن أن نوجز في إيضاح حقيقة حالته الصحية ، بأنه ليس اكثر من حطام .

فسألها :

- وماذا عن قواه العقلية ؟ هل يستطيع ان يعي ما يقال له ؟

- أجل ، تمام الوعي ، غير انه لا يستطيع الكلام بطلاقة ، ان عقله في رأيي لم يتأثر بمرضه

وتقدمتهم ليزا نيومان ترتقي الدرج إلى دهليز حيث فتحت باب غرفة متوسطة الحجم ، وكان في جانب الغرفة جهاز تسجيل .

وكان الرجل المديد القامة ، جالساً في مقعد بجوار المدفأة وآثار الشلل واضحة على وجهه وفي حركة يده اليسرى وليس من شك في انه كان حطام رجل • حطام رجل كان في يوم ما ، طويل القامة .. قوي البنية .

وكانت عيناه تشعان ذكاء ووعياً وكأنه يحاول أن يقول شيئاً ، واتجهت ليزا نيومان لتقف إلى جانبه ، وهي تتابع حركات شفتيه ، لتقوم بتفسير ما يقوله عند الاقتضاء ثم قالت :

- ان البروفسور شورهام يرحب بكم ، وهو سعيد بزيارتكم ويريد مني ان اقول لكم انه قادر على سماع ما تقولون بجلاء . اما ما يريد ان يقوله فسوف

أعاونكم على فهمه .

فقال مونرو :

– سأحاول الا أثقل عليك يا سيدي البروفسور .

وأومأ الرجل المريض برأسه عرفاناً وتقديراً .

وتابع مونرو :

– ويمكن ان اوجه بعض الأسئلة إلى مس نيومان

وعاد الرجل العليل ليومىء برأسه موافقاً .

فقال مونرو :

– لقد تلقيت رسالة مني اليس كذلك ؟

– بلى ، لقد تسلمها البروفسور شورهام واطلع على ما بها .

وعندئذ فتح الباب واطلت منه احدى الممرضات ..

وقالت في همس :

– مس نيومان ، هل ثمة ما يمكن ان اقوم به .

– شكراً مس اليس ارجوك ان تلزمي غرفتك عبر الدهليز .. لتكوني على مقربة منا !

- بكل تأكيد

وأوصدت الباب في رفق لتعود إلى مكانها .

وقال مونرو :

– ليس من شك في ان البروفسور شورهام يتابع مجرى الأحداث .

– انه ملم بكل ما يهمه الالمام به .

– هل هو على اتصال بالانجازات العلمية الحديثة ؟

وكان روبرت شورهام هو الذي تولى الاجابة هذه المرة :

– لقد انصرفت عن كل ما يمت للعلم بسبب ونفضت يدي من ذلك .

– ولكنك تدرك ما يحدث في العالم ؟ وما احرزته ثورة الشباب من نجاح

ومحاولة هؤلاء الاستيلاء على مقاليد الأمور في العالم

وانبرت مس نيومان تقول :

– انه على اتصال بكل ما يجري من الناحية السياسية فقط .

– إن العالم يتعرض لأعمال من العنف وهو ضحية لاتجاهات ثورية عارمة ، ولنظرية غير معقولة عن حكم الأقلية الفوضوية .

فتقدم مستر روبنسون قائلاً :

– إنه يعرف كل هذا . ولا حاجة بنا إلى إضاعة الوقت في ترديد هذه الحقائق التي يدركها الرجل تمام الإدراك سيدي ، هل تذكر شيئاً عن الأميرال بلانت ؟ .

فأومأ الرجل برأسه إيجاباً وانفرجت شفتاه عن ابتسامة عابرة ومضى روبنسون قائلاً :

– إن الأميرال بلانت يذكر شيئاً عن جهودك العلمية في مشروع معين مشروع بينفو .

وتبين الجميع ما ومضت به عينا الرجل .

وأجابت مس نيومان :

– مشروع بينفو إنك تعود بالزمن القهقرى يا مستر روبنسون .

– لقد كان هذا المشروع مشروعك اليس كذلك ؟

وكانت مس نيومان هي التي تتولى الاجابة دون تردد :

– بلى ، قد كان مشروعه .

– إننا لا نستطيع استعمال الأسلحة الذرية ، ولا نستطيع استعمال المتفجرات ، ولا الغازات السامة ولا الكيمائيات . أما مشروع بينفو فهو ما نقدر استعماله .

وخيم السكون على الغرفة وران صمت مطبق على الجميع ثم بدأ البروفسور شورهام يحاول النطق والتحدث اليهم وقالت مس نيومان محاولة التعبير عما

يريد الادلاء به

- إنه يقول بكل تأكيد فمن الممكن استعمال بينفو بنجاح .

ثم استدار الرجل المريض اليها يحدثها بما يشاء وقالت :

- إنه يريد مني أن أزيدكم إيضاحاً ، إن مشروع ب ، الذي سمي فيما بعد بمشروع بينفو ، كان مشروعاً عمل فيه طوال عدة أعوام ثم أفرغ يديه منه لأسباب خاصة به

- هل فشل في تجسيد مشروعه ؟

- كلا ، إننا لم نفشل . وقد كنت أعمل معه في هذا المشروع إنه نحاه جانباً لأسباب معينة ، ليس الفشل من بينها ، وقد كان موفقاً أيما توفيق .

- نرجوك أن تزيدينا إيضاحاً .

- لكنه يريد أن يعرف كيف علمتم بأمر هذا المشروع .

- قد علمنا بــه عن طريق أحد أصدقائه علمنا به من الليــدي ماتيلدا كليكهيتون التي تحدثت اليها عنه ذات يوم .

وبعد أن تأملت ليزا حركة شفتي الرجل المريض قالت :

- يقول انه كان يعتقد أن ماتيلدا قد انتقلت إلى العالم الآخر منذ عدة أعوام .

- إنها ما زالت على قيد الحياة وهي التي أفضت الينا بسر هذا المشروع وأرادت منا أن نعرف كل شيء عنه

- سيحيطكم البروفسور شورهام علماً بالنقاط الرئيسية لما تريدون الالمام به وإن كان يجد لزاماً عليه أن يبصركم بأن ما ستسمعونه منه لن يفيدكم في كثير أو قليل لقد أعدم كل ما له علاقــة بهذا المشروع من أوراق ومذكرات . ولإرضاء فضولكم يمكنني أن أوافيكم بالخطوط الرئيسية لمضمونه إنكم تعرفون بطبيعة الحال فوائد استعمال الغاز المسيل للدموع الذي تستعمله الشرطة لمقاومة

المشاغبين والمتظاهرين الى آخر ما هو من هذا القبيل .

— وهل هذا المشروع من نفس الفصيلة ؟

— كلا وان كان يؤدي إلى نفس الغرض المقصـود منه . وقد تبادر الى أذهان العلماء انه يمكن التأثير بوسيلة أو باخرى في بعض نواح من خصائص الانسان العقلية ومن خصاله .

ويريد البروفـور شورهام أن يحيطكم علماً بأن ثمة وسيلة يمكن بها تغيير نظرة الانسان للحياة . وإن من شأن مشروع بينفو أن يحول نزعات العنف والغضب ، والسخط الى نزعات مضادة يمكن تلخيصها في كلمة واحدة هي (النزعات الخيرة) بمعنى أن الانسان يجنح للخير بدلاً من الشر وللاحسان الى الآخرين بدلاً من الاساءة اليهم

— وما هو مدى تأثيره ؟

— ان تأثيره ليس مؤقتاً ان له صفة الدوام .

— الدوام ؟ أي انكم بهذا العقار تغيرون طبيعة الانسان وتكوينه الخلقي دون رجعة الى ما كان عليه . .

— نعم وهو اكتشاف له فوائده في حالات كثيرة

مثل الحروب ، والثورات ، وأعمال الفوضى انه اكتشاف لسعادة الغير ! سعادة دائمة للغير .

فقال مستر رينسون :

— رائع . يا له من اكتشاف مذهل. حبذا لو يوضع هذا الاكتشاف موضع التنفيذ — لكن فيم كل هذا ؟ ولماذا ؟

واستدار الرجل العليل برأسه تجاه مستر روبنسون

وقالت مس نيومان :

— يريد ان يقول انك أكثر إدراكاً من الآخرين .

وانبرى جمس قائلاً :

- ان هذا ما أدركناه جميعاً وما صدر عن مستر روبنسون هو رد الفصل الطبيعي للاحاطة بتأثير هذا الاكتشاف ! انه رائع فعلاً .

وكانت مس نورمان تحرك رأسها نفياً وهي تقول :

- ان مشروع بيتفو ليس للبيع او او الاهداء .

وقال الكولونيل مونرو وهو غير مصدق :

- أنفهم من قولك أن الرد بالنفي ؟

- نعم هذا ما يريد البروفسور أن يقوله لكم .

وقد رأى فيه أنه ضد ..

ثم توقفت لتنظر الى الرجل الذي كان يأتي بحركات برأسه ويده اليمنى ، وتصدر من بين شفتيه أصوات غير مفهومة .

وتريثت قليلاً ثم قالت :

- انه سيحاول أن يخبركم بنفسه . لقد كان خائفاً مما فعله العلم في عهد ازدهاره : تلك الأشياء التي توصل العلم اليها وكشف عنهـا النقاب . تلك الأشياء بالذات ، بقدر ما كان فيها من نفع كانت ضارة بالانسان . فها هـو البنسلين بقدر ما أنقذ من حياة قضى على حياة أخرى . وها هي الذرة بقدر ما فيها من نفع فيها من ضرر بل أن ضررها أكثر من نفعها انه كان يخشى سوء استعمال ما يكشف العلم عنه النقاب لصالح الناس .

- لكن هذا المشروع سوف يستفيد الجميع من تنفيذه .

- لا تنس الآثار الجانبيةالتي تكتشف بعد طول الاستعمال وهذا ما حدا به الى نبذ هذا المشروع .

وراحت تتلو علىمسمعهم المدون في المذكرةالممسكة بها بينما كان العالم الكبير يومىء برأسه موافقاً .

كان المدون إقراراً منه بأنه ارتأى الاطاحة بهذا المشروع والقضاء على كل ما يمت اليه بصلة خوفاً من سوء استعماله .

وبعد أن فرغت الفتاة من التلاوة حاول روبرت شورهام جهده أن يتحدث بلسانه المتلعثم اليهم .

قال :

ـ قد أعدمت نتاج عقلي وثمرة جهود الأعوام . ولا يعلم أحد في هذا العالم شيئاً عن كيفية اهتدائي لما توصلت اليه . وقد ساعدني في هذا العمل رجل واحد ، لكنه الآن في عداد الموتى . وقد قضى السل على حياته بعد عام من نجاحنا عليكم الآن بالعودة حيث أتيتم فليس في وسعي أن أساعدكم

- ان في وسعك أن تنقذ العالم !

فأطلق المريض من فمه ضحكات مرتجفة .

ثم قال :

ـ أنقذ العالم ! أنقذ العالم ! يا لها من عبارة ! أوليس هذا ما يعتقد شبابكم انه فاعله ! انهم يمارسون العنف والكراهية لانقاذ العالم . لكنهم لا يعرفون السبيل الى ذلك ! ولندعهم في طغيانهم يجب ان ندع الأمور تجري على سليقتها ، وألا نقاوم طبيعة البشر . لئن حاولنا شيئاً من هذا القبيل ، لناهضنا الله وقاومنا قدره .

وراح الرجل يتطلع الى المحيطين به وكان يبدو وكأنه يناشدهم أن يفهموه ، وأنه فاقد الأمل في حسن ادراكهم :

ـ لقد كان من حقي أن أقضي على ما صنعته يداي .

فقاطعه مستر روبنسون قائلاً :

ـ أشك في هذا لأن المعرفة هي المعرفة ولا يجب بحال ما أن تهدم المولود الذي أخرجته للحياة .

- لكل وجهة نظره ، غير انه لا معدى لك عن التسليم بالأمر الواقع .

وفي صوت مدوي قال مستر روبنسون

- كلا !

فاستدارت اليه ليزا وقد استشاطت غضباً قائلة :

- ماذا تعني بقولك كلا ؟

ولم تحاول أن تخفي مشاعرها !

وقد دار بخلد مستر روبنسون ، انها الفتـاة المحبة المخلصة لروبرت شورهام !

لقد أحبته ، وعملت معه ، وها هي الآن ترافقه في مرضه ، وقال لهـا مستر روبنسون :

- ثمة أشياء يعرفها المرء مع الأيام ودورة الزمن ، ولا أعتقد ان الحياة ستمتد بي طويلاً لأني أشعر بهذا في قرارة نفسي وقد عرفت من مـاضي أيامي بضعة أمور !

انك خير من يدرك يا شورهام اني على حق فيما أقول ، وأنا أعرف انك رجل صادق أمين ، وانه ما كان لك أن تقضي على ثمار عملك ، بل ولم يكن في وسعك أن تفعل هذا !

ان نتيجة تجاربك وأبحاثك مودعة في مكان ما ، في تحفظ وحرص عليها ولعلك قد أودعتها أحد البنوك ولا بد أن مس ليزا تعرف ذلك لأنك قد أوليتها ثقتك دون البشر جميعاً !

فرد شورهام في صوت كان أكثر وضوحاً وجلاء :

- من عساك أن تكون ؟ من أنت ؟

- إني رجل من رجال المال يعرف الكثير عنه وعن كل ما يتفرع عنه . إن في وسعك أن تفعل الكثير ، باستعادة ما مضى . لقد سمعنا منك وجهة نظرك ولا أزعم انها كانت خطأ في كل النواحي قد تكون مصيباً فيما قلته عن المزايا والمساوىء ولدينا في التاريخ أمثلة كثيرة كما ذكرت غير انه ليس

من حقك على الاطلاق أن تحجب عن العالم ما توصلت اليه من اكتشاف قد ترجح مزاياه على مساوئه .

فقال الكولونيل مونرو :

– فيم كل هذا الحديث وتلك المناقشة ؟

فردت المس نيومان :

- عبثاً يحاول مستر روبنسون ، ولا جدوى مما يقول . إن رد البروفسور شورهام قاطع ولا يمكن إرغامه على القيام بما لا يريد

وأردف اللورد التامونت قائلاً :

– كلا اننا لن نرغم أحداً أو نثقل عليك يا روبرت . لك أن تفعل ما تراه صواباً . وهذا حقك

– إدوارد ؟

- وحاول روبرت شورهام أن يواصل الكلام ، لكن لسانه خذله ثانية ، وبدأ يحرك يديه .

وراحت مس نيومان تقول :

– ادوارد ؟ انه يقول ادوارد، أتراك ادوارد التامونت؟ انه يستفسر منك يا لورد التامونت ، عما إذا كنت راغباً حقـــاً في وضع مشروع بينفو تحت تصرفك ؟ إنه يقول انك الرجل الوحيد الذي وضع ثقته فيه من رجال الحكم في البلاد فإذا كانت هذه رغبتك ..

ونهض جمس واقفاً وأسرع قرب كرسي اللورد التامونت قائلاً :

– دعني أعاونك على النهوض يا سيدي انك مريض ولست على ما يرام . أرجوك أن تبتعدي قليلاً يا مس نيومان ، ان معي دواءه . وأعرف مـا يجب عمله

وأسرع يخرج من جيبه محقنة تحت الجلد قائلا :

إن لم أسرع بحقنه قبل فوات الأوان تسوء النتيجة .

وقبض على ذراع اللورد وكشف عنه قميصه تهيئة لحقنه . وبأسرع من لمح البصر ، كان هورشام يقفز إلى حيث يقف جس لمنعه من تنفيذ ما كان يهم القيام به .

وحاول كليك أن يقاوم ، ولكن هورشام تغلب عليه ، وكان مونرو قد أسرع الى معاونته ..

وقال مونرو :

— إذن فقد كنت أنت ، جس كليك ، الخائن الذي يمثل دور التابع الأمين .

وكانت مس نيومان قد أسرعت إلى الباب تفتحه وتنادي الممرضة أن تسرع بالحضور .

وأقبلت الممرضة ، والقت بنظرة سريعة على البروفسور شورهام ، الذي أومأ بيده إلى حيث يقف مونرو ممسكاً بكليك الذي يحاول الافلات منه . ووضعت الممرضة يدها في جيب معطفها . غير ان شورهام صرخ قائلا :

— انه التامونت أزمة قلبية

فزأر مونرو قائلا :

— أزمة قلبية ؟ كلا . إنه شروع في قتل .

ثم توقف فجأة عن إكال كلامه قائلا لهورشام قبل أن يقفز عبر الغرفة :

- لا تدعه يفلت منك .

ثم اتجه الى الممرضة قائلا

— مسز كورتهان ؟ منذ متى التحقت بمهنة التمريض ؟ لقد فقدنا أثرك منذ أن استطعت الهرب في بلتيمور .

وكانت ميلي جين لم تخرج يدها بعد من جيبها وفي تلك اللحظة أخرجتها بالمسدس الصغير

ورآها مونرو تتجه بنظراتها صوب شورهام فأسرع يحول بينها وبينه ، كما أسرعت ليزا تقف أمام مقعده .

وصرخ كليك :

ـ جوانيتا ، عليك بالتامونت ! أسرعي عليك به !

ورفعت ذراعها وأطلقت النار .

وصرخ كليك :

ـ لقد أصبت الهدف !

وتمتم اللورد بصوت ضعيف وهو ينظر إلى كليك :

ـ جيمي ؟ حتى أنت يا بروتس ؟

ثم تداعى مستنداً الى ظهر مقعده .

* * *

تلفت الدكتور ماك كيلوك فيما حوله ، وهو لا يدري ماذا يقول او يفعل بعد كل ما قام به .

لقد كان هذا المساء من الأمسيات غير العادية في حياته .

وأقبلت عليه ليزا بكأس في يدها قائلة :

ـ قد يفيدك هذا .

ـ كنت أعرف دائماً انك فتاة نادرة يا ليزا .

وراح يرتشف من كأسه مستمتعاً ثم استطرد :

بودي لو عرفت فيم كان كل هذا ؟ أم لعلني لن أفوز منك بطائل اسرية الموضوع

ـ هل البروفسور بخير ؟

- نعم انه بخير ، بل لقد كان لما حدث رد فعل أفاده كثيراً .
.. كنت أظن أن الصدمة ..

فقاطعها شورهام قائلاً :

– اني بخير. ان الصدمات خير علاج للصدمات إني أشعر بأني عدت للحياة من جديد .

وكان بادي الدهشة . فقال ماك كيلوك يحدث ليزا :

– ألم تتبيني قوة صوته ؟ دعيه يزاول عمله بقدر الامكان ان حياته في العمل ولا يزال ذهنه متوقداً .

وكان شورهام يتطلع اليهما مستحثاً ، بينما كانت تنظر اليه في شك من ذلك .

وانبرى الكولونيل مونرو يقول :

– دكتور ماك كيلوك ، أعتقد أننا مدينون لك بشيء من الايضاح لما حدث هذا المساء ، وإن كان المفروض كتمان الأمر نزولاً على مقتضيات السياسة العليا ان مقتل اللورد التامونت .

فقاطعه الطبيب قائلاً :

– الواقع أن الوفاة لم تكن ناجمة عن الطلق الناري ، لقد كانت بسبب الصدمة العصبية وكان المفروض أن تؤدي الحقنة الى ذلك لولا ..

– لولا اني انتزعتها من يد كليك .

بهذا أردف هورشام موضحاً ما حصل فقال الطبيب :

.. لقد كان دسيسة عليكم .

– نعم وكان موضع ثقة اللورد التامونت وحبه اذ كان ابناً لأحد أصدقائه القدامى .

– هذا ما يحدث أحياناً ، والسيدة ، هل كانت ضالعة معه ؟

نعم . وقد التحقت بالعمل هنا كممرضة بأوراق مزيفة ان الشرطة تجد

في أثرها بتهمة القتل .

ـ القتل ؟

ـ نعم قتل زوجها سام كورتمان السفير الأمريكي ، لقد أطلقت عليه النار بينما كان يصمد درج السفارة . واخترعت القصة التي أدلت بها ضمن أقوالها عن مهاجمة شبان مقنعين له :

ـ وما سبب العدوان عليه ؟ أهو سياسي أم شخصي ؟

ـ نعتقد أنها قتلت زوجها ، لأنه اكتشف بعض نواحي نشاطها المنحرف :

وأردف هورشام يقول :

ـ أعتقد انه شك في خيانتها للبلاد أو اكتشافه لخلية الجاسوسية والمؤامرات التي كانت تديرها. وكان في حيرة من أمره، لا يدري ماذا يفعل في هذا الوضع وبالذات لأنه لم يكن سريع البديهة .

وسمعوا كلهم صوت البروفسور شورهام يقول :

ـ ليزا سنبدأ العمل من جديد .

فدهشوا وراحوا يتطلعون اليه في حيرة وقالت ليزا :

ـ ولكن يا روبرت .

ـ قد عدت للحياة من جديد . واستفسري الطبيب عن هذا .

وتطلعت ليزا إلى ماك كيلوك متسائلة فقال .

ـ لئن فعلت ذلك فسوف تسيء إلى صحتك

فقال شورهام :

ـ إنكم دائماً هكذا ، معشر الأطباء ، تجعلون مريضكم يعتقد أنه على حافة القبر .

فضحك الدكتور ماك كيلوك ونهض قائلاً :

ليس إلى هذا الحد . إننا نحرص على صحة مرضانا، سأبعث اليك ببعض

الأقراص لتعينك على ما تبغي .
— لن أتناول منها شيئاً .
— بل ستتناولها بانتظام .
وتوقف الطبيب عند الباب قائلاً :
— بودي لو عرفت . كيف تيسر لكم استدعاء الشرطة بهذه السرعة ؟
— كانت لدى قائد الطائرة التعليمات اللازمة بالاستعداد لكل ما يحدث وكنا نعلم بأن المرأة كانت تحوم حول المكان وإن لم تكن لدينا أية فكرة عن أنها كانت في البيت فعلاً .
— لقد سمعت الكثير وشاهدت عجباً وداعاً .
وانصرف الطبيب .
وخيم على الغرفة السكون . وسمع صوت البروفسور شورهام ، وهو يقول :
هيا إلى العمل !
فقالت له ليزا ، شأنها في هذا شأن سائر النساء :
— روبرت ، عليك أن تتوخى جانب الحذر .
— كلا !. كلا ! إن الحياة أقصر من ذلك .. سأعمل تخليداً لذكراه .
- ماذا تعني ؟
— ذكراه أجل ، ذكرى ادوارد ! لقد كنت دائماً أرى فيه وجه الشهيد .
واستغرق شورهام في تفكير عميق . ثم قال :
— بودي لو اتصلت بجوتليب ، قد يكون في عداد الموتى . إنه خير من يعمل معنا يا ليزا ، إستعيدي الأمانة من البنك
قال المستر روبنسون مجيباً

إن البروفسور جوتليب لا يزال على قيد الحياة في مؤسسة بيكر ، في أوستن بتكساس

وتساءلت ليزا :

– ماذا تحاول أن تفعله .

– مشروع بيذفو بكل تأكيد ! رسأبعثه من جديد إحياء لذكرى إدوارد التامونت الذي قصى نحبه في سبيله ، ألم يكن هذا ما حدث ؟ لا يجب ان يموت أحدنا عبثاً .

الخاتمـــة

بعث السير ستافورد تاي البرقية التالية لثالث مرة :

« أعددت العدة لإقامة حفل الزفاف يوم الخميس القادم بكنيسة سانت كريستوفر في ستونتون الساعة الثانية والنصف مساء وسيكون الحفل تبعاً لطقوس الكنيسة الانجليزية أو تبعاً للطقوس اليونانية الارثوذكسية إذا رغبتم في هذا . رجاء الابراق بالتعليمات . أي اسم تختارينه للتسجيل في عقـد الزواج ؟ إبنة أخي البالغة من العمر خمس سنوات تلح في أن تكون وصيفة شرف واسمها سيبيل . شهر العسل سنقضيه محلياً لأننا سـافرنا كثيراً بما فيه الكفاية ، في المدة الأخيرة .

الامضاء

مسافر إلى فرانكفورت

* * *

إلى ستافورد تاي

أوافق على سيبيل كوصيفة شرف وأقترح العمة الكبرى ماتيلدا رئيســة شرف . وأوافق على ما أعد للزواج ولقضاء شهر العسل .

التوقيع : ماري آن

– تمت –